هاري بيتس

يوم توقفت الأرض

فريق متميزون

E-BOOK

ترجمة: دعاء خليفة

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

يوم توقفت الأرض

رواية مترجمة..

هاري بيتس

ترجمة: دعاء خليفة

تنويه..

اخترنا أن نُقدِّم هذا النص بنفس الاسم الذي قدمته به السينما واُشتهر به، بدلًا من عنوانه الأصلي: «Farewell To The Master » (وداعًا للسيد)، الذي نُشر به لأول مرة عام ١٩٤٠ في الولايات المتحدة الأمريكية.

من موضعه أعلى حافة السلم فوق أرضية المتحف، درس «كليف ساذرلاند» بعناية كل خطٍّ وظلٍّ للرجل الآلي العظيم، ثم استدار وتطلع متمعنًا في تدافع الزوار المتوافدين من كل أرجاء المجموعة الشمسية ليروا «نووت» و«المسافر» بأنفسهم وليسمعوا مجددًا قصتهم المدهشة المأساوية.

لقد أتى هو بذاته، شاعرًا بالكاد باهتمام يتملكه في «المعرض»، ولأجل سبب ما؛ فقد كان هو المصور الصحافي المستقل الوحيد في أراضي «الكابيتول» حين وفد الزوار من المجهول، وحصل على أول صور احترافية للمركبة، وشهد عن قرب كل حدث خلال الأيام الجنونية التالية، وصور بعدئذٍ الرجلَ الآليَّ ذا الأقدام الثمانية عدة مرات، المركبة، و«كلاتو»، السفير الفاتن القتيل، وقبره المهيب في منتصف الحوض المديد، ولقيمة الأخبار المتوالية عن الحدث لبلايين الأشخاص عبر الفضاء المأهول؛ بات هناك مجددًا ليحصل على صور أخرى، و«منظور» جديد لو أمكن.

سعى هذه المرة وراء صورة تُظهر «نووت» ككائن غريب ومُهدد، لم تعطِ الصور التي التقطها في اليوم السابق التأثير الذي أراده تمامًا، وأمل أن يحصل عليها اليوم، لكن الإضاءة ما زالت غير ملائمة، وكان لا بد من انتظار شمس الأصيل لتخبو قليلًا.

سارع آخر المتجمهرين المسموح بدخولهم من المجموعة الحالية، صائحًا عند «مركبة الزمكان» الغامضة ذات الانحناءات الخضراء الخالصة الهائلة، ثم تناسى المركبة بالكامل مع رؤية القوام المهول والرأس الهائل لـ«نووت» العملاق. كان الرجال الآليون ذوو المفصلات والمظهر الجلف شبه الإنساني مألوفين كفاية، لكن لم تقع أنظار أرضية على أعين كهذه مطلقًا. كان لـ«نووت» شكل الإنسان تقريبًا - عملاق لكنه بشري - بمعدن أخضر بدل الجلد الخارجي للإنسان، وعضلات خضراء بدلًا من عضلات الإنسان البارزة، كان عاريًا إلا من قماشة على منطقة العانة، وقف كإلهٍ قوي عتي لحضارة علمية لا نحلم بها. علا وجهه سمة الفكر القلق والعابس. لم يُبدِ الناظرون إليه أية دعابات أو ملاحظات فارغة، وأولئك الأقربون منه لم يتكلموا مطلقًا. كانت عيناه الغريبتان الحمراوان المضيئتان من الداخل فائقتَي الثبات حتى أحس كل مراقب أن تلك النظرة مسلطة عليه وحده، وطبع شعورًا بأنه قد يخطو للأمام في غضب ويقترف أفعالًا غير متخيلة في أي لحظة.

جاء صوت خشخشة طفيف من سماعات مخبأة في السقف بالأعلى، وتخافض ضجيج الحشد على الفور. كانت المحاضرة المسجلة على وشك البدء، كان يعرفها

عن ظهر قلب، حتى أنه كان حاضرًا وقت تسجيلها، وقابل المتحدث؛ رجل شاب اسمه «ستيلويل».

صدر صوت واضح وجيد الترنيم:

سيداتي وسادتي

لكن «كليف» لم يعد حاضرًا، باتت الظلال في فجوات وجه وجسد «نووت» أعمق، حان الوقت تقريبًا للقطته، التقط وتفحص تجارب الصور التي التقطها البارحة وقارنها بانتقاد مع محتوى الصور.

ارتسمت تجعيدة على حاجبه وهو يتطلع ناظرًا، لم يلاحظ ذلك من قبل، لكن الآن، فجأة راوده شعور أن هناك شيء متغير منذ البارحة بخصوص «نووت». الوقفة الماثلة أمامه تتطابق مع الصور، كل تفصيل بالمقارنة بدا مطابقًا، لكن مع ذلك استمر ذلك الشعور، أخذ عدسته وقارن بحرص أكبر المحتوى والصور، خطًا خطًا، ثم رأى أن هناك اختلافًا.

بحماس مفاجئ، التقط «كليف» صورتين من زاويتين مختلفتين، عرف أن عليه الانتظار قليلًا لالتقاط صورًا أخرى، لكنه كان شديد التأكد من تعثره بسر هام ألزمه بالذهاب، نزل بسرعة وهو يلف ملحقات معداته على السلم وشق طريقه خارجًا. بعد عشرين دقيقة، كان يحُمِّض الصور الجديدة في غرفة نومه بالفندق وهو يضنيه الفضول.

ما رآه «كليف» حين قارن الصور السالبة التي التقطت البارحة واليوم أشعره بوخز في فروة رأسه، يوجد ميل بالتأكيد! ويبدو أنه لا أحد غيره قد عرف! مع ذلك، فما اكتشفه ويمكنه تصدر الصفحة الأولى من كل صحيفة في النظام الشمسي هو بالنهاية مجرد دليل أولي لحل اللغز. إن قصة ما حدث بالفعل لم يكن يعرفها أفضل من أي شخص آخر، لا بد أن تكون مهمته أن يكتشفها. وهذا يعني أنه لا بد أن يخبئ نفسه في المبنى ويمكث هناك طيلة الليل. في تلك الليلة ذاتها، ما زال هناك وقتٌ يتسنى له فيه العودة قبل الإغلاق، سيأخذ كاميرا صغيرة ذات أشعة تحت حمراء فائقة السرعة وقادرة على الرؤية في الظلام، وسيحصل على الصورة الحقيقية والقصة.

انتزع الكاميرا الصغيرة، استقل سيارة أجرة وأسرع عائدًا إلى المتحف، امتلأ المكان بقسم آخر من الطابور الموجود دومًا، وكانت المحاضرة على وشك الانتهاء، شكر السماء أن اتفاقه مع المتحف يسمح له بالدخول والخروج متى شاء.

كان قد قرر سابقًا ما سيفعل؛ أولًا سلك طريقه إلى الحارس الهائم وسأل سؤالًا واحدًا، وعم وجهه التكهن حينما سمع الإجابة المتوقعة، الشيء التالي أن يجد بقعة يكون فيها بمأمن من عيون الرجال الذين سيغلقون المكان الليلة، كان هناك مكان وحيد ممكن؛ المعمل الكائن وراء المركبة، أظهر وثيقة اعتماده الصحافية بجرأة للحارس الثاني المرابط عند الممر الحاجز المؤدي إليه، مصرحًا أنه أتى ليجري مقابلة مع العلماء، وفي لحظة كان عند باب المعمل.

كان قد حضر هناك عدة مرات، ويعرف الغرفة جيدًا؛ كانت مساحة كبيرة مقسمة بالتقريب لعمل العلماء المشغولين بشق طريقهم لداخل المركبة، ومليء بفوضى أدوات هائلة وثقيلة: أدوات كهربائية وأفران هواء حار وقوارير كيميائية وصفائح من الحرير الصخري وضواغط وطاسات ومغارف ومجهر وكم كبير من المعدات الصغيرة الشائعة بالنسبة لمختبر للمعادن، انهمك ثلاثة رجال بثياب بيضاء فضفاضة عميقًا في تجربة عند الطرف البعيد، تسلل «كليف» للداخل منتظرًا للحظة مناسبة، وأخفى نفسه تحت طاولة نصف مدفونة بالمعدات، شعر هناك بأمان من الانكشاف بشكل معقول، سيعود العلماء إلى منازلهم عند هبوط الليل قريبًا جدًّا.

من وراء المركبة، استطاع سماع قسم آخر من الطابور المنتظر وهو يمتلئ، تمنى أن يكون هو الأخير لهذا اليوم، استقر براحة قدر الإمكان. خلال لحظة ستبدأ المحاضرة، ابتسم حين فكر في شيء ما سيذكره التسجيل.

ثم ها هو مجددًا، الفيديو الواضح المتدرب عليه للشاب «ستيلويل»، تلاشى وقع أقدام وهمسات الحشد، وكان باستطاعة «كليف» أن يسمع كل كلمة بالرغم من الحجم الكبير للمركبة الواقعة بينهما.

بدأت الكلمات المألوفة:

سيداتي وسادتي، مؤسسة «سميثسونيان» ترحب بكم في جناحها الواقع بين الكواكب وفي المعارض البديعة في هذه اللحظة الحالية أمامكم.

توقف لبرهة، ثم واصل الصوت:

لا بد أنكم تعرفون جميعًا الآن شيئًا عما حدث هنا منذ ثلاثة أشهر مضت، هذا إن لم تكونوا حقًّا قد شاهدتم الأمر بأنفسكم على الشاشة، الحقائق القليلة قيلت باختصار؛ بعد الخامسة مساءً بقليل، في السادس عشر من سبتمبر، احتشد زوار واشنطن في الأراضي خارج هذا المبنى بأعدادهم المعتادة وبأفكارهم المعتادة بلا شك، كان اليوم دافئًا وصحوًا، فئة من الناس كانت مغادرة من المدخل الرئيس للمتحف، بالخارج في الاتجاه الذي تقفون قباله بالضبط، هذا الجناح لم يكن بالطبع هنا في ذلك الوقت، كل فرد كان يتجه إلى البيت، مجهدون لا شك من الوقوف ساعات على أقدامهم، يشاهدون معارض المتحف ويزورون المباني الكثيرة في الأراضي القريبة. ثم حدث شيء ما! على الجهة الواقعة على يمينكم تمامًا، تمامًا كما الآن، ظهرت «مركبة الزمكان». ظهرت في لمحة عين. لم تهبط من السماء، عشرات الشهود يقسمون على ذلك، ظهرت فحسب. في لحظة لم تكن هنا، في اللحظة التالية كانت. ظهرت في ذات البقعة التي تقفون عليها الآن.

صَعِق الناسُ القريبون من المركبة خوفًا وركضوا عائدين بصيحات وصرخات. انتشر الاهتياج خارجًا على واشنطن في موجة مديدة. سارعت محطات الراديو والتلفاز، ورجال الصحافة إلى هنا على الفور. شكلت الشرطة طوقًا واسعًا حول المركبة، وظهرت الكثير من وحدات الجيش ووجهوا أسلحة وموجهات للأشعة عليها. عمَّ الخوف من الكارثة الوخيمة؛ لأنه من المعروف منذ البداية أن هذه ليست

بمركبة فضائية من أي مكان في المجموعة الشمسية. يعرف كل طفل أنه قد بُني فحسب مركبتان فضائيتان على الأرض، ولا توجد أي واحدة أخرى على أي من الكواكب الأخرى والأقمار الصناعية الأخرى، ومن بين هاتين الاثنتين، دُمرت واحدة حين سُحبت نحو الشمس، وأُبلغ عن وصول الأخرى سليمة على المريخ للتو. والتي صُنعتْ هُنا لها صَدَفة من سبائك الألمنيوم المخلوط القوي، بينما هذه، كما ترون، من معدن أخضر غير معروف.

ظهرت المركبة واستقرت هنا بالضبط، لم يخرج أحد، ولم تكن هناك إشارة على وجود حياة بداخلها من أي نوع. وتسبب هذا مثل أي شيء آخر في حماس حتى عنان السماء. مَن، أو ماذا كان بالداخل؟ أكان الزوار عدائيين أم مسالمين؟ من أين أتت المركبة؟ كيف وصلت فجأة في هذه البقعة دون سقوط من السماء؟

قبعت المركبة هنا لمدة يومين، تماما كما ترونها الآن، بدون حركة أو إشارة على وجود حياة بداخلها. قبل نهاية ذلك الوقت بمدة طويلة، فسر العلماء أنها لم تكن مركبة فضائية بقدر ما هي «آلة زمكان»، لأن مركبة كهذه ستصل مثلما فعلت تلك وتجسدت. أشاروا أن آلة كهذه لا تزال بعيدة عن مساعي إدراكنا الحالية رغم كونها مفهومة نظريًّا بالنسبة لنا نحن الأرضيين، ومن الممكن لتلك المركبة العاملة بمبادئ «النسبية» أنها قد قدمت من أقصى بقاع الكون، من مسافة ستيطلب حتى الضوء نفسه ملايين السنوات ليعبرها.

ولما كان هذا الرأي منتشرًا، تزايد قلق العامة حتى بات تقريبًا غير محتمل؛ من أين أتت الآلة؟ مِن كان قاطنوها؟ لماذا أتوا إلى الأرض؟ فوق ذلك، لماذا لم يُظهروا أنفسهم؟ هل كانوا ربما يعدون سلاح دمار فظيع؟

وأين كان جانب مدخل المركبة الأيسر؟ أفاد مَن تجرأ من الرجال لإلقاء نظرة أنهم لم يجدوا مدخلًا، لا شرخ أو كسر طفيف يشوب النعومة الكاملة لسطح المركبة البيضَوي المقوس. ولم يستطع وفد مفوض من المسؤولين ذوي المناصب العليا بالدق استخراج أي إشارة من قاطنيها أنهم مسموعين.

في النهاية، بعد يومين بالضبط، على مرأى عشرات الآلاف من الأشخاص المجتمعين والواقفين في الخلف، وتحت أعداد كبيرة من فوهات أقوى ما لدى الجيش من بنادق وموجهات شعاعية، ظهرت فتحة على حائط المركبة، وانحدر سُلَّمًا للأسفل، وخطا رجل، شبيه بالإله في الطلة وبالإنسان في الهيئة، متبوعًا عن قرب برجلٍ آليٍّ ضخم. وحين لمسا الأرض، انزاح السلَّم عائدًا إلى مكانه وانغلق المدخل كما كان.

اتضح على الفور لكل الآلاف المجتمعين أن الغريب كان مسالمًا؛ فأول شيء فعله هو أن رفع يده اليمنى عاليًا بتلويحةِ سلامٍ عالميةٍ، لكن لم يكن ذلك ما بَهَر أولئك القريبين منه كثيرًا بقدر التعبير الذي اعتلى وجهه، الذي شعَّ بالطيبة والحكمة والنبالة الخالصة. بدا في ردائه رقيق اللون كإلهٍ طيب.

على الفور، في انتظار هذا الظهور، تقدمت لجنة هائلة من مسؤولي الحكومة ذوي الرتب العليا وضباط الجيش ليحيوا الزائر. أشار الرجل بتهذيب ووقار إلى نفسه، ثم إلى مرافقه الآلي، وقال بإنجليزية مثالية مصحوبة بلهجة غريبة: «أنا «كلاتو» (أو اسمًا بدا كذلك)، وهذا «نووت»». لم تكن الأسماء مفهومة في ذلك الوقت، لكن الفيلم السمعي/البصري الخاص برجال التلفاز صورهما وباتا معروفين للجميع بعد ذلك.

ثم حدث الشيء الذي سيظل دومًا خزي على الجنس البشري؛ من أعلى شجرة على بعد مائة ياردة بزغت غمزة ضوء بنفسجي ووقع «كلاتو». وقف الجمع الغفير المتجمهر مذهولًا للحظة، غير واعٍ لما حصل. أدار «نووت» - وهو خلف رئيسه قليلًا وعلى جهة واحدة - جسدَهُ تجاهه ببطء، حرك رأسه مرتين، ووقف بلا حراك في ذات البقعة التي ترونهُ فيها الآن.

ثم تبع ذلك هرج ومرج. سحبت الشرطة قاتل «كلاتو» من خارج الشجرة. وجدوه مختلًا عقليًّا، ظل يندد صائحًا: «إن الشيطان قد أتى ليقتل كل شخص على الأرض». اقتيد بعيدًا، وتم الإسراع بـ«كلاتو» رغم موته الجلي لأقرب مستشفى ليروا إن كانت هناك أي إمكانية لإنعاشه. حام الحشد الحائر والخائف حول أراضي «الكابيتول» لبقية ما بعد الظهيرة وأغلب تلك الليلة، مكثت المركبة صامتة وبلا حراك كما من قبل، ولم يتحرك «نووت» أيضًا على الإطلاق من البقعة التي توقف فيها.

لم يتحرك «نووت» مجددًا، ظل بالضبط كما ترونه طيلة تلك الليلة وما تلاها من أيام. عندما شُيد الضريح في الحوض المديد، شُيعت جنازة «كلاتو» حيث تقفون الآن، حضرها أرفع الموظفين من كل دول العالم العظيمة. لم تكن فقط الأكثر ملائمة بل الفعل الأسلم، لأنه لو وجدت كائنات حية أخرى في المركبة كما بدا محتملًا في ذلك الوقت، لا بد أن يأخذوا انطباعًا حسنًا بحزننا العميق - نحن الأرضيين - على ما حدث.

إذا كان «نووت» لا يزال حيًّا، أو ربما من الأفضل أن أقول يؤدي وظائفه، لم توجد أي إشارة، ظل واقفًا كما ترونه خلال الجنازة الرسمية بأكملها، وقف هكذا بينما طفا رئيسه إلى الضريح، وخلَّف للقرون التسجيل السمعي/ البصري المأساوي القصير لزيارته التاريخية. وبعدها ظل واقفًا هكذا، يومًا بعد يوم، ليلة بعد ليلة، في جو صحو وماطر، دون حركة أو إبداء أي إشارة عن وعيه بما حدث.

بعد الدفن، بُني هذا الجناح من المتحف ليغطي «مركبة الزمكان» و«نووت». لم يكن بالإمكان أبدعُ مما كان، تجلي الإدراك بأن كلًّا من «نووت» والمركبة فائقَا الثقل على أن يُنقلَا بأمان بأي طرق في متناول اليد.

لقد سمعتم عن جهود خبراء المعدن لدينا منذ ذلك الحين ليقتحموا المركبة، وعن فشلهم الذريع في ذلك، يمكنكم الرؤية، من كلا الطرفين خلف المركبة الآن، غرفة عمل مقسمة قد أقيمت حيث لا تزال المحاولة جارية، أثبت معدنها الأخضر الرائع حتى الآن أنه لا يُنتهك؛ ليس لأنهم غير قادرين على الدخول فقط، لكنهم لا

يستطيعون حتى إيجاد المكان الذي خرج منه «كلاتو» و«نووت» بالضبط. علامات الطباشير التي ترونها هي أفضل تقدير.

خاف كثير من الناس أن «نووت» قد تشوَّش لفترة مؤقتة فقط، وأنه بعودته للعمل قد يصير خطيرًا، لذا دمر العلماء كل الفرص التي قد تؤدي لذلك. بدا أن المعدن الأخضر المصنوع منه مشابه لذلك الذي في المركبة ولا يمكن الهجوم عليه أكثر من ذلك، اكتشفوا عدم وجود طريقة يمكنهم من خلالها النفاذ إلى هيكله الداخلي، لكنهم امتلكوا وسائل أخرى؛ قاموا بإرسال تيارات كهربائية ذات شحنات هائلة ومرروها خلاله، صبوا حرارة هائلة على كامل أجزاء هيكله المعدني الخارجي، غُمر لأيام في غازات وأحماض ومحاليل قوية آكلة للمعدن، وأمطروه بوابل من كل نوع معروف من الأشعة، لا داعي للخوف منه الآن، من غير الوارد أن باستطاعته استعادة القدرة على العمل بأي طريقة.

لكن - كلمة تحذيرية - يعلم مسؤولو الحكومة أن الزوار لن يسيئوا الاحترام في هذا المبنى. من المحتمل أن الحضارة المجهولة والقوية بلا شك التي حضر منها «كلاتو» و«نووت» قد ترسل بعثة أخرى ليروا ما حدث لهما. سواء فعلوا ذلك أم لم يفعلوا، لا يجب العثور على أحد منَّا ليساء فهمه في موقفنا. لا أحد منَّا يستطيع التخمين جيدًا فيما حدث، وكلنا آسفون بلا حد، لكننا لا نزال مسؤولين إلى حد ما، ولا بد أن نفعل ما بوسعنا لتفادي انتقامات محتملة.

سيُسمح لكم بالبقاء خمس دقائق أخرى، ومن ثم، حين يقرع الجرس، ستغادرون لطفًا على الفور، سيجيب الرجال الآليون الحاضرون بمحاذاة الجدار عن أي استفسار لديكم.

انظروا جيدًا، حيث تنتصب أمامكم إشارات واضحة عن مآثر وغموض ووهن الجنس البشري.

توقف الصوت المسجَّل عن الحديث، على وجه «كليف» لاحت فجأة ابتسامة عريضة وهو يحرك أطرافه المتشنجة بحذر، لو يعرفون ما يعرف!

لأن صورَهُ رَوَت قصة مختلفة قليلًا عن تلك الخاصة بالمُحاضِر؛ في صور البارحة ظهر بوضوح خط من أرضية القاعة المشكَّلة على الزاوية الخارجية لقدم الرجل الآلي القريبة، في صور اليوم، ذلك الخط كان مغطى؛ لقد تحرك «نووت» أو تم تحريكه! رغم أن هذا مستبعد جدًّا. أين كانت الرافعة والدلائل الأخرى على نشاطٍ كهذا؟ من الصعوبة أن يتم ذلك في ليلة واحدة، وتُخفى كل الإشارات بهذا القدر من السرعة. ولماذا يجب فعل ذلك أساسًا؟

مع ذلك، للتأكد، سأل الحارس. كان بالكاد يتذكر جوابه حرفيًّا:

- لا، «نووت» لم يتحرك ولم يتم تحريكه منذ موت سيده. وردت نقطة هامة بشأن إبقائه في البقعة التي احتلها مع موت «كلاتو»، لقد بُنيت الأرض من تحته، وشيد العلماء الذين أكملوا تشويشه معداتهم العلمية من حوله، تمامًا حيث يقف؛ لا داعي لأن تخاف.

ابتسم «كليف» مجددًا، لم تكن لديه أي مخاوف.

بعد لحظة رن الجرس الكبير فوق باب المدخل معلنًا ساعة الإغلاق، وتلا ذلك مباشرة صوت من مكبرات الصوت منادية:

الساعة الخامسة، سيداتي وسادتي، وقت الإغلاق، سيداتي وسادتي.

كأنهم فوجئوا بتأخر الوقت كثيرًا، غسل العلماء الثلاثة أيديهم على عجل، وبدلوا لملابسهم العادية واختفوا في نهاية الممر المقسم، غافلين تمامًا عن المصور الشاب المختبئ تحت الطاولة. خفتت سريعًا انزلاقات واحتكاكات الأقدام في أرض «المعرض»، حتى بقي في النهاية فحسب خطوات الحارسين الاثنين فقط وهم يخطوان من جهة إلى أخرى، حريصين بأن يبقى كل شيء على ما يرام لتلك الليلة. للحظة فقط ألقى أحدهما نظرة في اتجاه المختبر، ثم انضم إلى الآخر عند المدخل، ثم أغلق الباب المعدني، وحل الصمت.

انتظر «كليف» لدقائق عدة، ثم شق طريقه خارجًا بحذر من تحت الطاولة. بينما وقف منتصبًا، سمع دوي رنين خافت على الأرض بجانب قدميه. توقف حذرًا، وجد البقايا المتناثرة لزجاج أنبوبة اختبار رفيع؛ لقد أوقعها عن الطاولة. هذا جعله يلاحظ شيئًا لم يفكر فيه من قبل: «نووت» الذي تحرك قد يكون قادرًا على الرؤية والاستماع، ويكون خطيرًا حقًّا؛ عليه أن يكون فائق الحذر.

نظر من حوله، كانت الغرفة محاطة في أطرافها بحاجزين من الألياف التي تتبع النهايات الداخلية عن قرب تحت القاعدة المتعرجة للمركبة. كانت الجهة الداخلية من الغرفة هي المركبة ذاتها، والجهة الخارجية هي الحائط الجنوبي من الجناح. كانت هنالك أربع نوافذ واسعة عالية. كان المدخل الوحيد عن طريق الممر.

بدون حركة، من خلال معرفته بالمبنى، وضع خطته، كان الجناح متصلًا بالجهة الغربية من المتحف بواسطة مدخل لم يُستخدم قط، وتمت توسعته غربًا باتجاه «نصب واشنطن التذكاري». تقع المركبة قريبًا من الحائط الجنوبي، ويقف «نووت» أمامه، ليس ببعيد من الجانب الشمال شرقي، وفي الطرف المقابل للغرفة من مدخل البناية والممر المؤدي إلى المختبر؛ بتتبع خطواته إلى الوراء، سيخرج على الأرض في الجهة الأبعد من الرجل الآلي. كان هذا تمامًا ما أراده، فإنه على الجهة الأخرى من المدخل، على منصة منخفضة، نُصبت طاولة تحتوي على أجهزة المحاضرة، وكانت هذه الطاولة هي الشيء الوحيد في الغرفة الذي وفَّر مكانًا له ليبقى محتجبًا خلال مشاهدة ما قد يحدث. لم تكن الأغراض الأخرى على الأرض سوى الرجال الآليين الستة المشرفين، ذوي الشبه بالإنسان، في أماكن محددة على طول الحائط الشمالي، موضوعين هناك للإجابة على استفسارات الزوار. توجب عليه أن ينال الطاولة.

التقت وبدأ يخطو على أطراف أصابعه بحذر خارج المختبر ونحو الممر. كان الظلام قد عمَّ هناك بالفعل، لأن أي ضوء لا يزال داخلًا لقاعة «المعرض» قد

حُجب بواسطة جسم المركبة الضخم، وصل لنهاية الغرفة دون أن يُحدث صوتًا، تقدم تدريجيًّا بحذر شديد وحدق حول قاعدة المركبة عند «نووت».

انتابته صدمة لحظية؛ كانت عينا الرجل الآلي عليه تمامًا، أو هكذا بدا! تساءل: أكان هذا فقط من تأثير شكل عينيه، أم أنه كُشف بالفعل؟ لم يبدُ على موضع رأس «نووت» التغييرُ بأي صورة، على الأرجح كان كل شيء على ما يرام، لكنه تمنى لو أنه لم يكن عليه أن يعبر لتلك النهاية من الغرفة مع الإحساس بأن عينَي الرجل الآلي تتبعانه.

انسحب للخلف وجلس منتظرًا، من المفترض أنه قد حل ظلام دامس قبل أن يخطو مرتحلًا إلى الطاولة. انتظر لساعة كاملة، حتى بدأت أشعة المصابيح الخافتة على الأرض بالخارج تجعل الغرفة تبدو أخف في الإضاءة، ثم هبَّ واقفًا واسترق النظر حول المركبة مرة أخرى، بدت عينا الرجل الآلي معلقتَين تمامًا عليه كما من قبل، الآن فقط، حتمًا بسبب الظلام، بدت الإضاءة الداخلية الغريبة أكثر سطوعًا، كان هذا شيئًا مخيفًا.. هل كان «نووت» يعلم أنه هناك؟ ما أفكار الإنسان الآلي؟ كيف تبدو أفكار آلة بتلك الروعة من صنع الإنسان، حتى بروعة «نووت»؟

حان وقت العبور، لذا أمال «كليف» كاميراه على ظهره، نزل على يديه وركبتيه، وتحرك بحذر نحو حافة حائط المدخل، كيَّفَ نفسه هناك بأقرب ما يمكنه في الزاوية الناتجة عن الحائط مع الأرض وبدأ بالتحرك قُدُمًا، دون توقف، ودون مخاطرة بالالتفات إلى عينَي «نووت» الحمراوَين المثيرتَين للأعصاب، متحركًا بُوصةً في كل مرة، زحف إلى الأمام، استغرق عشرَ دقائق ليعبر مساحة بمائة قدم، وابتل بالعرق حين لامست أصابعه أخيرًا ارتفاع قدم واحدة عن الأرض التي تقف عليها الطاولة. بطيئًا لا يزال، صامتًا كظلٍّ، اتجه بطريقه نحو الزاوية وذاب في حماية الطاولة، أخيرًا صار هناك.

استراح للحظة، ثم استدار بحذر متلهفًا ليعرف إن كان مراقبًا، ونظر حول حافة الطاولة؛ كانت عينا «نووت» بكاملهما الآن عليه! أو هكذا بدا الأمر. في مقابل الظلام الغامر، خيَّم على الرجل الآلي ظلًّا غامضًا وأكثر دُكْنةً، حيث بدا كل كيانه على بعد مائة وخمسين قدمًا مهيمنًا على الغرفة. لم يستطع «كليف» أن يُفرق ما إذا كان موقع جسده قد تغير أم لا.

لكن إذا كان «نووت» ينظر إليه، على الأقل لم يفعل شيئًا آخر، لم يبدُ أنه تحرك قيد أنملة يستطيع «كليف» تبينها، موقعه هو الشيء الوحيد الذي بقى عليه في هذه الأشهر الثلاثة الأخيرة؛ في الظلام، في المطر، وذلك الأسبوع الأخير في المتحف.

عقد «كليف» عزمه ألا يستسلم للخوف، صار واعيًا بجسده، سلبت الرحلة الحذرة شيئًا منه، سُفعت ركبتاه وكوعاه وتلف بنطاله بلا شك، لكن هذه من صغائر الأمور لو تحقق ما يتمناه؛ إذا أبدى «نووت» تحركًا، واستطاع التقاطه بكاميراه ذات الأشعة تحت الحمراء، سوف يكون بحوزته قصة ستمكنه من شراء خمسين طاقمًا من الملابس، وإذا استطاع فوق ذلك معرفة هدف تحرك «نووت» - باعتبار أن هناك هدفًا ما - ستصير قصة تجعل العالم يصيخ السمع بأذنيه.

استقر لفترة منتظرًا، لم يكن هناك ما يخبره متى سيتحرك «نووت»، هذا إن كان سيتحرك حقًّا تلك الليلة. تكيفت عينا «كليف» منذ وقت طويل على الظلام، وكان بإمكانه رؤية الأشياء الكبيرة بصورة كافية. حدق خارجًا من حين إلى آخر على الرجل الآلي، حدق مطولًا وبحدة، حتى تذبذبت معالم هيكله الخارجية وبدا أنه يتحرك، وكان عليه أن يطرف بعينيه ويريحهما ليتأكد أن ذلك من وحي خياله.

زحف مجددًا عقرب الدقائق في وجه ساعته. جعل الخمول من «كليف» غير مبالٍ، ولفترات أطول وأطول أبقى رأسه بالخلف بعيدًا عن مرأى البصر خلف الطاولة. وهكذا ما إن تحرك «نووت» حتى صار خائفًا يكاد يفقد عقله؛ وجد الرجل الآلي فجأة على الأرض في منتصف الطريق تجاهه! لكن لم يكن هذا الشيء الأكثر رعبًا، بل كان حين رأى «نووت» ولم يضبطه وهو متحرك! توقف تمامًا كقطة في منتصف مطاردتها لفأر. كانت عيناه الآن أكثر بريقًا، ولم يبقَ شك بشأن اتجاههما: كان ينظر مباشرة إلى «كليف»!

أعاد «كليف» النظر إليه متنفسًا بشق الأنفس وشبه مُنوَّم مغناطيسيًّا، تشوشت أفكاره: «ماذا كانت نية الرجل الآلي؟ لماذا توقف تمامًا؟ هل كان يلاحقه؟ كيف بإمكانه التحرك بهذا الهدوء؟».

في الظلام الثقيل تحركت عينا «نووت» بصورة أقرب، ببطء ولكن في تناغم كامل بحيث دق في أذني «كليف» صوت وقع خطواته غير الملحوظ تقريبًا. كان «كليف» المتدبر أمره بما يكفي في العادة هذه المرة عالقًا دون حيلة، متجمدًا من الخوف، غير قادر مطلقًا على الفرار. بقي في مكانه بينما أتى الوحش المعدني بعينيه الناريتين.

للحظة كاد أن يغمى على «كليف»، وحينما تعافى، كان «نووت» يعلوه؛ قدماه في المتناول تقريبًا، كان مائلًا قليلًا، حارقًا عينيه الرهيبتين تمامًا في عينيه!

فات أوان التفكير في الهرب الآن. مرتجفًا كأي فأر محاصر، انتظر «كليف» الضربة التي ستحطمه. بدا الأمر أبديًّا، شاهده «نووت» دون حراك. في كل ثانية من تلك الأبدية توقَّع «كليف» أن فيها إبادة، مفاجئة، سريعة، كاملة. ثم فجأة ودون توقع انتهى الأمر؛ انتصب جسد «نووت» وخطا إلى الخلف. استدار، ثم بالتناغم غير المهتز تقريبًا، التي انفرد بها وحده من بين الرجال الآليين، انطلق عائدًا باتجاه المكان الذي قدم منه.

استطاع «كليف» بصعوبةٍ التصديقَ أنه نجا. كان بإمكان «نووت» طحنه كدودة، ولكنه فقط استدار عائدًا.. لماذا؟ لم يكن بالمستطاع الافتراض أن الرجل الآلي قادرٌ على حيازة اعتبارات إنسانية.

ذهب «نووت» مباشرة إلى الجهة الأخرى من المركبة. توقف عند نقطة معينة وأصدر أصواتًا متعاقبة عجيبة. رأى «كليف» فتحةً على الفور، أشد حلكة من ظلمة المبنى، ظاهرة على جانب المركبة، ومتبوعة بصوت انزلاق طفيف حينما انفتح

سطح معبر مائل حتى التقى بالأرض. مشى «نووت» فوق المعبر واختفى داخل المركبة وهو منحنٍ قليلًا.

ثم، للمرة الأولى، تذكر «كليف» الصورة التي أتى لأجل التقاطها؛ لقد تحرك «نووت»، لكنه لم يصوره! لكن الآن على الأقل، مهما كانت الفرص القادمة المحتملة لاحقًا، يمكنه أن يلتقطها مصورًا المعبر الموصول بالباب المفتوح، لذا أدار كاميراه في موقع مناسب، وأعدها للتعريض الملائم، والتقط صورة.

مر وقت طويل ولم يخرج «نووت». تساءل «كليف»: ما عساه يفعل بالداخل؟! ارتدّت إليه بعضٌ من شجاعته والتهى بفكرة التسلل قدمًا واختلاس نظرة عبر البوابة، لكنه اكتشف أنه لا يملك الشجاعة لهذا. لقد عفا عنه «نووت»، حتى الآن على الأقل، لكن ليس هناك ما يدل إلى أي مدى سيستمر تسامحه.

مرت ساعة، تلتها أخرى. كان «نووت» يفعل شيئًا ما داخل المركبة، لكن ماذا؟ لم يستطع «كليف» أن يخمن. لو كان الرجل الآلي بشريًّا، يعرف أنه كان ليختلس نظرة، لكنه هو ما هو، من فصيلة غير معروفة كثيرًا. حتى أبسط الآليين في الأرض كانوا أشياء غير مفهومة تحت ظروف معينة؛ ماذا إذن عن هذا الآلي، الآتي من حضارة مجهولة ولا تخطر حتى بالبال، أكثر مصنوع مدهش شوهد حتى الآن، أي قوى خارقة قد يعوزه امتلاكها؟ كل ما استطاع علماء الأرض فعله لم يساعد في تشويشه: حمض، حرارة، أشعة، ضربات ساحقة هائلة، لقد تحملها جميعًا، حتى سطحه المصقول لم يُخدش. ربما يمكنه الرؤية بمثالية في الظلام. وتمامًا حيث كان، ربما بإمكانه أن يسمع أو بطريقة ما أن يشعر بأقل تغيير في وضعية «كليف».

مر المزيد من الوقت، ثم في وقت ما بعد الساعة الثانية صباحًا، حدث شيء بسيط عادي، لكنه غير متوقع البتة، ذلك أنه كاد للحظة أن يدمر توازن «كليف»؛ كان هناك فجأة خفقان واهن لأجنحة طائر عبر المبنى المظلم والصامت، تبعها عاجلًا صوت طائر ثاقب وجميل. «الطائر المحاكي»، في مكان ما في الظلام فوق رأسه. كانت تغريداته واضحة بملء حنجرته، غنى دزينة من الأغنيات واحدة تلو الأخرى دون وقفات بينها، نداءات وتغريدات وملاطفات وتسجيعات ملحة قصيرة. ربما هي أغنية الحب الربيعية لأفضل مغنٍ في العالم، ثم كما بدأ فجأةً، توقف الصوت.

لو تدفق جيش مقتحم خارجًا من المركبة، لكان «كليف» أقل اندهاشًا. كان الشهر هو «ديسمبر»، حتى «طيور المحاكي» في «فلوريدا» لم تبدأ أغانيها. كيف قدمت واحدة إلى داخل هذا المتحف المظلم المحكم الإغلاق؟ كيف ولماذا كانت تغني هناك؟

انتظر «كليف» مملوءًا بالفضول، ثم فجأة وعى بوجود «نووت»، واقفًا بالضبط خارج بوابة المركبة. وقف ثابتًا، التفتت عيناه المشعتان مباشرة في اتجاه «كليف». للحظة بدا صمت المتحف أعمق أثرًا، ثم انكسر بصوت ارتطام ناعم على الأرض قريبًا حيث يستلقي «كليف».

أصابه العجب، لقد تبدل الضوء في عيني «نووت»، وبدأ مشيته غير المتناسقة تقريبًا في اتجاه «كليف». حين بات بعيدًا بعض الشيء، توقف الرجل الآلي، وانحنى، والتقط شيئًا من الأرض، ظل واقفًا لبعض الوقت دون حركة ونظر إلى شيء صغير يحمله في يده. عرف «كليف» رغم عدم قدرته على الرؤية أنه «الطائر المحاكي»، جثته، لأنه من المؤكد أنه فقد أغنيته إلى الأبد. ثم عاد «نووت»، ودون أن ينظر إلى «كليف»، سار عائدًا إلى المركبة وذهب إلى الداخل مجددًا.

مرت ساعات خلال انتظار «كليف» لشيء تالٍ لهذه الأحداث المفاجئة. بدأ خوفه من الرجل الآلي يهدأ، ربما بسبب فضوله. لو كان الآلي بالطبع غير ودود، أو كان ينوي أن يتسبب له بأي أذى، كان سيقضي عليه من قبل، حين تسنت لديه فرصة مثالية. بدأ «كليف» يشجع نفسه لأجل نظرة سريعة إلى داخل البوابة، وصورة، لا بد أن يتذكر الصورة؛ ظل ينسى السبب الأساسي لوجوده هناك.

كان في ظلام الفجر الخادع الأعمق حين انتابته شجاعة كافية وعقد العزم؛ خلع حذائيه، وبقي بجوارب في قدميه، حذاءاه مربوطان معًا ومحمولان على كتفه، تحرك بتصلب لكن بسرعة نحو موقع يقع خلف أقرب الرجال الآليين الستة المشرفين الواقفين على طول الجدار، ثم توقف قليلًا لأجل أي إشارة قد تخطره أن «نووت» عرف بتحركه. دون سماع شيء، انسل وراء الرجل الآلي المشرف التالي وتوقف مجددًا. وهو أكثر جرأة الآن، قطع في دفقة واحدة كل المسافة لأبعد واحد: السادس، متوقفًا في مقابل بوابة المركبة تمامًا. قابلته هناك خيبة أمل، لم يوجد ضوء مرئي يمكن تتبعه من الداخل، فقط كان هناك الظلام وكل الصمت الذي يتخلله. مع ذلك، من الأفضل أن يلتقط الصورة، رفع كاميراه، ركز عدستها على الفتحة المظلمة، وأعطى الفيلم تعريضًا طويلًا بعض الشيء، ثم وقف هناك، حائرًا فيما سيفعل تاليًا.

بينما توقف، ورد لأذنيه تتابع غريب من الموجات المكتومة، على ما يبدو من داخل المركبة؛ أصوات حيوانات، في البداية أصوات خدش ولهاث، متقاطعة لعدة مرات مع بضع نقرات حادة، ثم زمجرات عميقة شرسة، تتقاطع مع مزيد من الخدش واللهاث، كما لو أن هناك نوعًا ما من الصراع الجاري. ثم فجأة، حتى قبل أن يقرر «كليف» الركض عائدًا إلى الطاولة، وثب كيان منخفض واسع مظلم خارجًا من البوابة والتفت فورًا ونما حتى بات بطول رجل. غمر «كليف» خوف رهيب، حتى قبل أن يعرف ماهية الكيان.

في الثانية القادمة ظهر «نووت» على البوابة وخطى دون تردد أسفل المعبر المائل باتجاه الكيان، بينما تقدم هو تراجع الكيان ببطء بعيدًا لأقدام قليلة، لكنه بعدها لزم أرضيته، وبزغت ذراعان كثيفتان من جانبيه وبدأ بقرع عالٍ على صدره، بينما صدر من حلقه صرخة عميقة متحديًا. مخلوق واحد فقط في العالم يضرب صدره ويصدر صوتًا كهذا؛ كان الكيان غوريلًا!

غوريلًا عملاقة!

واصل «نووت» تقدمه، وحين اقترب، اندفع إلى الأمام وتصارع مع الوحش، لم يكن «كليف» ليخمن أن «نووت» بمقدوره التحرك بهذه السرعة الشديدة، لم يرَ في الظلام تفاصيل ما حدث، كل ما يعرفه أن كلا الكيانين الهائلين، المعدني العملاق «نووت» والغوريلَّا، القصيرة السمينة ورغم هذا هائلة القوة، قد اشتبكا للحظة مع صمت من ناحية الرجل الآلي وصراخ رهيب عميق لا يوصف من جهة الآخر، ثم انفصل الاثنان، وبدا كما لو أن الغوريلَّا طُرحت بقوة وبعيدًا إلى الخلف.

وقف الحيوان من فوره على كامل استقامته وهدر حتى صم الآذان، تقدم «نووت»، اشتبكا مجددًا، وتكرر الانفصال السابق، واصل الرجل الآلي بلا محالة، والآن بدأت الغوريلَّا تتراجع أسفل المبنى، فجأة اندفع الوحش كالسهم باتجاه كيان على هيئة إنسان أمام الحائط، وبحركة خاطفة جانبية حطم الرجل الآلي المشرف الخامس على الأرض وضرب عنقه.

متوترًا من الخوف، ربض «كليف» جاثمًا خلف رجله الآلي المشرف. شكر السماء لوجود «نووت» بينه وبين الغوريلَّا. واصل «نووت» تقدمه، تراجعت الغوريلَّا أبعد، اندفعت فجأة على الرجل الآلي التالي في الصف، وبقوة قد لا تصدق، اقتلعته من جذوره وقذفته بقوة على «نووت»، اصطدم آلي بآلي آخر صدمة معدنية حادة، وارتد المنتمي لكوكب الأرض إلى جهة واحدة وتدحرج حتى توقف.

لعن «كليف» نفسه لهذا بعد ذلك، لكونه نسي من جديد الصورة تمامًا، استمرت الغوريلَّا في التراجع إلى أسفل المبنى، هادمة باندفاعات هائلة من الغضب كل رجل آلي مشرف مر به وقاذفة القطع على «نووت» الذي لا يقهر، وصل عاجلًا أمام الطاولة، وشكر «كليف» أقداره في تلك اللحظة لابتعاده، تبع ذلك صمت قصير، لم يستطع «كليف» تبين ما يجري، لكنه تخيل أن الغوريلَّا قد وصلت لزاوية الجناح أخيرًا وصارت في شرك.

لو كان الأمر كذلك، فقد كان للحظة فحسب، انكسر الهدوء فجأة بعدها بصرخة هائلة، والكيان الثخين القصير للحيوان، الآتي واثبًا باتجاه «كليف»، جاء إلى الخلف تمامًا والتفَّ بالضبط بين «كليف» وبوابة المركبة، تضرع «كليف» محمومًا ليعود «نووت» بسرعة، بما أنه صار الآن آخر رجل آلي موجود بينه وبين البَهيم الخطير المجنون. من خارج العتمة ظهر «نووت»، انتصبت الغوريلَّا على كامل استقامتها وضربت صدرها وهدرت متحدية ثانية.

ثم حدث شيء عجيب؛ وقعت على كل أطرافها الأربعة والتفت بطيئًا على جانبها، كما لو أنها ضعفت أو جرحت. ثم لاهثة، مصدرة أصواتًا مرعبة، أجبرت نفسها من جديد لتقف على قدميها وواجهت «نووت» القادم، وهو ينتظر، التقطت عيناه آخر رجل آلي مشرف و«كليف» ربما، منكمشًا بالقرب من خلفه، تمايلت الغوريلَّا جانبًا باتجاه «كليف» بفورة من الغضب الهائل الهدَّام، لكن هذه المرة، حتى مع خوفه، رأى أن الحيوان قد تحرك بصعوبة، يبدو ثانية مريضًا أو جريحًا جرحًا بالغًا. قفز إلى الخلف في الوقت المناسب تمامًا، سحبت الغوريلَّا آخر رجل آلي مشرف وقذفته بعنف تجاه «نووت»، دون أن يصيبه بشق الأنفس.

كانت هذه آخر مساعيها، تملكها الوهن مجددًا، سقطت بثقل على جانب واحد، تأرجحت إلى الوراء والأمام بضع مرات، وسقطت منتفضة، ثم استلقت ثابتة بلا حراك.

تسرب أول ضوء خفيف شاحب للفجر داخل الغرفة، من الزاوية التي اتخذها ملجأً، راقب «كليف» عن قرب الرجل الآلي العظيم، بدا له أنه تصرف بغرابة شديدة؛ وقف فوق الغوريلَّا الميتة، مدنيًا نظره نحوها بما قد يُدعى حزنًا لدى أي إنسان. رأى «كليف» ذلك بوضوح، حملت ملامح «نووت» الخضراء الثقيلة إيماءة متأملة حزينة، جديدة على خبرته، توقف كذلك لبضع لحظات، ثم انحنى عليها كما يفعل أب مع ابنه المريض، رفع الغوريلَّا الكبيرة على ذراعيه المعدنيتين وحملها بلطف إلى داخل المركبة.

طار «كليف» عائدًا إلى الطاولة، خائفًا على حين غرة من أحداث أخرى خطيرة لا توصف، خطر بباله أنه ربما يكون بمأمن في المختبر، وبركبتين مرتجفتين شق طريقه إلى هناك واختبأ في إحدى الأفران الكبيرة، صلى لقدوم ضوء النهار مكتملًا، كانت أفكاره فوضوية، سريعة، الواحدة تتلو الأخرى، قَلَّب في ذهنه بعنف أحداث الليلة العجيبة، لكنها كانت غامضة جميعها، بدا أنه لا تفسير منطقيًّا لها: «الطائر المحاكي» ذاك.. الغوريلَّا.. تعبير «نووت» الحزين وعطفه.. ما الذي بمستطاعه تفسير خليط عجائبي كهذا؟!

حل ضوء النهار الكامل تدريجيًّا، مر وقت طويل، بدأ يظن في النهاية أنه ما زال بإمكانه الخروج حيًّا من مكان الغموض والخطر ذاك، عند الثامنة والنصف صباحًا كانت هناك ضوضاء عند المدخل، وحل على مسامعه الصدى المطمئن للأصوات البشرية. خطا خارجًا من الفرن ومشى على أطراف أصابعه حتى الممر. توقفت الأصوات فجأة وصار هنالك صراخ مفزع وبعدها صوت أقدام راكضة، ثم صمت. انسل «كليف» خلسة باتجاه الطريق الضيق وتطلع بخوف حول المركبة؛ كان «نووت» هناك في مكانه المعتاد، في الوقفة المطابقة التي اتخذها مع موت سيده، مطيلًا التفكير في همومه بوجوم وتوحد تجاه المركبة الفضائية المغلقة مرة أخرى، وغرفة كانت خرابًا. بقيت أبواب الدخول مفتوحة، ركض «كليف» خارجًا وقلبه يُعتصر خوفًا. بعد بضع دقائق، آمنًا في غرفته الفندقية، منهكًا كليًّا، جلس لثانية وقارب على الغط في النوم مباشرة. ترنح بعدها في مشيته حتى وصل إلى السرير وهو لا يزال نائمًا وفي ملابسه. لم يستيقظ حتى منتصف بعد الظهيرة.

استيقظ «كليف» ببطء، غير منتبهٍ في البداية أن الصور المتداعية في رأسه كانت ذكريات حقيقية وليست حلمًا عجيبًا. كان استرجاع الصور هو ما أوقفه على قدميه، جلس على عجالة يحمض الفيلم الموجود في كاميراه. وبات في يديه دليلٌ بأن أحداث الليلة كانت حقيقية، كلا اللقطتين اتضح أنهما جيدتان؛ أظهرت الأولى بوضوح السطح المائل المؤدي إلى البوابة كما تبينه بصعوبة من موقعه خلف الطاولة، الثانية كانت للبوابة المفتوحة كما التقطت من الأمام، التي خابت منه بسبب جدار مُصمت خلف الفتحة مباشرة قد حجب المنظر الداخلي للمركبة بأكمله. هذا ما

يعلل حقيقة عدم صدور ضوء من المركبة حينما كان «نووت» في الداخل، بافتراض احتياج «نووت» إلى الضوء ليفعل أيًّا مما يريد فعله.

نظر «كليف» إلى الصور السالبة وصار خجلًا من ذاته، يا له من مصور رديء ليعود بلقطتين سخيفتين كهاتين! توافرت له حصيلة من الفرص ليلتقط صورًا جيدة؛ لقطات لـ«نووت» وهو يتحرك، قتال «نووت» مع الغوريلَّا، حتى إمساك «نووت» بـ«الطائر المحاكي». أشياء مخيفة! وكل ما عاد به كان صورتين لممر.. أوه، بكل تأكيد، كانتا قيمتَين، لكنه كان حمارًا من الدرجة الأولى.

وليتفوق على هذا الأداء المتألق، فقد غط في النوم!

حسنًا، من الأفضل له أن يخرج إلى الشارع ويفتش عما كان يفعل.

استحم سريعًا، حلق ذقنه، وغير ملابسه، ولاحقًا كان يدخل مطعمًا قريبًا يكتظ بمصورين وصحافيين آخرين، لمح وهو جالس وحده عند طاولة الغداء زميلًا منافسًا له في المهنة.

سأله زميله حين أخذ الكرسي الذي بجانبه:

- حسنًا، ماذا تظن؟

أجاب «كليف»:

- لا رأي لي في أي شيء حتى أتناول الإفطار.

- إذن، ألم تعرف؟

قال «كليف» الذي كان يعرف جيدًا ما سيقوله زميله:

- أعرف ماذا؟

كانت ملاحظة الآخر:

- أنت مصور جيد، حينما يقع حدث كبير حقًّا، تكون نائمًا في الفراش.

لكنه أخبره بعد ذلك بما اُكتشف ذلك الصباح في المتحف، وبإثارة العالم أجمع بالأخبار. قام «كليف» بثلاثة أشياء في آنٍ واحد بنجاح؛ فقد التهم إفطارًا متينًا، ظل شاكرًا لأقداره لعدم وقوع شيء جديد، وأظهر تفاجؤًا متواصلًا، ثم وهو لا يزال يمضغ، نهض وهرع إلى المبنى.

في الخارج، تجمع عند الباب حشد كبير من المطلعين الفضوليين، لكن لم يواجه «كليف» مشكلة في الحصول على إذن دخول بإظهاره وثيقة اعتماده الصحافية. كان «نووت» والمركبة في مكانهما تمامًا كما تركهما، بينما نُظفت الأرض وتراصت القطع المتكسرة للرجال الآليين المشرفين في مكان واحد على طول الحائط، تواجد عدد من الزملاء المنافسين له هناك.

قال «جيس» لأحدهم:

- كنت بعيدًا؛ فوتّ كل شيء، ماذا يفترض أن يكون التفسير لما حدث؟

كان الرد:

- اطرح سؤالًا سهلًا، لا أحد يعلم. أظن أنه ربما خرج شيءٌ ما من المركبة، ربما رجل آلي آخر مثل «نووت». قل لي: أين كنت؟

- نائمًا.

- من الأفضل اللحاق بالركب، عدة مليارات من ذوي القدمين يتجمدون خوفًا. الأرض على وشك أن تُغزى انتقامًا لموت «كلاتو».

- لكن ذلك...

- أوه، أعرف أن كل ذلك جنون، لكن هذه هي القصة التي أطعموهم إياها، فهى تبيع أخبارًا، لكن هناك زاوية جديدة في الموضوع قد خرجت للتو، مفاجئة جدًّا.. تعال هنا.

اقتاد «كليف» إلى الطاولة حيث وقفت مجموعة من الناس باهتمام كبير تجاه عدة أشياء يحرسها خبير فني. أشار «جيس» إلى شريحة زجاجية كان على متنها بضع شعيرات قصيرات بنيات داكنات.

قال «جيس» باعتيادية فائرة واثقة:

- جاءت هذه الشعيرات من ذكر غوريلًّا كبير. معظم الشعيرات عثر عليها بين كُناسات الأرضية هذا الصباح، عُثر على البقية على المرافقين الآليين.

حاول «كليف» أن يبدو مذهولًا. أشار «جيس» إلى أنبوبة اختبار مملوءة جزئيًا بسائل خفيف كهرماني اللون.

- وذلك دم، مخفف، دم غوريلًّا. وُجد على ذراعَي «نووت».

تصرف «كليف» بدهشة:

- يا للسماء! وليس هناك من تفسير؟

- ولا حتى نظرية، إنها فرصتك الكبيرة، أيها الفتى المعجزة.

ابتعد «كليف» عن «جيس»، غير قادر على الاستمرار في تمثيله أكثر من ذلك. لم يستطع أن يقرر ما عساه يفعل بشأن قصته، ستعوِّل الخدمات الصحافية كثيرًا عليها - مع كل صوره - لكن ذلك سيتطلب عملًا أكثر بعيد عن متناول يديه، أراد في أعماق عقله البقاء مجددًا في الجناح تلك الليلة، ولكن، كان خائفًا ببساطة، لقد أخذ جرعة صعبة إلى حدٍّ ما، ورغب كثيرًا أن يبقى حيًّا يرزق.

تمشى ونظر مطولًا إلى «نووت»، لا أحد سيظن مطلقًا أنه قد تحرك، أو أن نظرة حزن قد ارتسمت على وجهه المعدني الأخضر، هاتان العينان الغريبتان؛ تساءل «كليف» ما إذا كانتا حقًّا تنظران إليه، كما أبديتا، مميزةً إياه بكونه المتسلل الجريء لليلة البارحة. من أي شيء مبهم صُنعت هذه المواد الموضوعة على حجرتي عينيه

التي لم يستطع فرع واحد من جنس البشر بكل علمه حتى الآن أن يسهم في إيقافه؟ بم كان يفكر «نووت»؟ ماذا قد تكون أفكار رجل آلي، آلية من معدن خرجت من بوتقات الطين البشرية؟ هل كان غاضبًا منه؟ لم يظن «كليف» ذلك؛ فقد شمله «نووت» برحمته وذهب بعيدًا.

أيجرؤ على المكوث مجددًا؟

فكر «كليف» أنه ربما يفعل.

سار حول الغرفة، معيدًا التفكير في الأمر، شعر أن «نووت» سيتحرك مجددًا بكل تأكيد، سيحميه مسدس يطلق أشعة «مايكتونية» من غوريلَّا آخرى، أو خمسين واحدة منهم. لم يحصل بعد على القصة الحقيقية، لقد عاد بصورتين بائستين للبناء!

ربما عرف من البداية أنه سيبقى، رقد مرة أخرى تلك الليلة عند الغسق، مسلحًا بكاميراه ومسدس «مايكتون» صغير، تحت طاولة المعدات في المختبر وسمع الأبواب المعدنية للجناح تغلق الليلة.

هذه المرة سيأخذ القصة، والصور، ليته لا يوجد حارس بالداخل!

أصاخ «كليف» السمع لمدة طويلة لأي صوت قد يخبره أن حارسًا قد غادر، لكن الصمت داخل الجناح بقي دون انكسار. كان شاكرًا لذلك، لكن ليس تمامًا، لقد دفع الظلام المتجمع وملاحظة أنه صار الآن ملزمًا بلا رجعة، بفكرة مفادها أن وجود رفيق ليس بأمر غير مستحب كليًّا.

بعد ساعة من الوصول لأقصى حلكة للظلام خلع حذائيه، ربطهما معًا وعلقهما حول رقبته، أسفل ظهره، وانسحب خلسة إلى الممر حيث يفتح على داخل منطقة «المعرض». بدا كل شيء كما في الليلة السابقة؛ ظهر «نووت» بظل غامض منذر بالسوء على الطرف البعيد للغرفة، بدت عيناه الحمراوان المشعتان مجددًا بالضبط على البقعة التي اختلس عندها «كليف» النظر. كما في الليلة السابقة، لكن بحذر أكثر، نزل «كليف» على معدته في زاوية الحائط وزحف ببطء كالثعبان عابرًا إلى المنصة المنخفضة التي تقف عندها الطاولة. حينما صار في حمايتها، وضع حذائيه بحيث يقعان على كتف واحد، وجلب كاميراه وقِراب مسدسه إلى الأمام، جاهزتين على صدره. هذه المرة، أخبر نفسه، أنه سيحصل على صور.

جلس ينتظر، مبقيًا «نووت» على امتداد البصر كل دقيقة. وصل نظره إلى التكيف الأقصى مع الظلام. انتابه بالنهاية شعور بالوحدة وبعض من الخوف، بدأت عينا «نووت» الحمراوان بشعاعهما يثيران أعصابه، كان عليه أن يطمئن نفسه أن الرجل الآلي لن يؤذيه، كان لديه القليل من الشك لكنه هو نفسه كان مُراقبًا.

مرت الساعات بطيئة، سمع من فترة إلى أخرى ضوضاء خافتة عند المدخل، بالخارج حارس، ربما، أو ربما زوَّار فضوليون.

في حوالي الساعة التاسعة رأى «نووت» يتحرك: أولًا رأسه وحدَهُ؛ التفَّ حتى تركزت العينان بقوة في الاتجاه الذي يستلقي به «كليف». للحظة كان ذلك كل

شيء. ثم تحرك الشكل المعدني الداكن قليلًا وبدأ يتحرك قدمًا مباشرة تجاهه. ظنّ «كليف» أنه لن يخاف، لكن الآن توقف قلبه. ماذا سيحدث هذه المرة؟

بصمت مذهل، تقدم «نووت» مقتربًا، حتى علا ظلٌّ ذو نذير فوق البقعة حيث رقد «كليف». تسلطت عيناه الحمراوان لمدة طويلة على الرجل المستلقي. ارتجف «كليف» بكل كيانه، كانت هذه أسوأ من المرة الأولى. وجد نفسه دون أن يخطط متحدثًا إلى الكائن.

توسل إليه:

- لا تؤذِني. انتابني الفضول فقط لأرى ما يحدث. إنها وظيفتي. هل بإمكانك أن تفهمني؟ لن أؤذيك أو أزعجك. أنا.. أنا ليس باستطاعتي ذلك ولو أردت! أرجوك!

لم يتحرك الرجل الآلي مطلقًا، ولم يستطع «كليف» أن يحزر ما إذا كانت كلماته قد فُهمت أو حتى سُمعت. حين استولى عليه القلق بأكثر مما يحتمل، مد «نووت» يده وأخذ شيئًا من درج في الطاولة، أو ربما أعاد وضع شيء ما هناك، ثم خطا إلى الخلف، استدار، وعاد بخطواته إلى الوراء. كان «كليف» في مأمن؛ مجددًا عفا الرجل الآلي عنه!

ابتداءً من تلك اللحظة، فقد «كليف» الكثير من خوفه، تأكد الآن أن هذا «النووت» لن يؤذيه، كان تحت سيطرته لمرتين، وفي كل مرة ينظر إليه فقط ويتحرك بهدوء بعيدًا عنه، لم يستطع «كليف» أن يتكهن بما فعله «نووت» في درج الطاولة، كان يراقب بفضول كبير ليرى ما سيحدث بعد ذلك.

كما في الليلة السابقة؛ ذهب الرجل الآلي مباشرة إلى نهاية المركبة وأصدر سلسلة الأصوات الغريبة التي فتحت بدورها البوابة، وحين انزلق المعبر المائل إلى الخارج دلف إلى الداخل، بعد ذلك بقي «كليف» وحيدًا في الظلام وقتًا طويلًا، ساعتين على الأرجح، لم يصدر صوت من المركبة.

عرف «كليف» أن عليه أن يتسلل إلى البوابة وينظر متلصصًا إلى الداخل، لكن لم يستطع أن يحمل نفسه تمامًا على فعل ذلك، بمسدسه يمكن أن يتعامل مع غوريلًا أخرى، لكن إذا قبض عليه «نووت» فربما تكون النهاية، للحظة توقع أن شيئا عجيبًا سيحدث، لم يعرف ماهيته: ربما الأغنية الحلوة لـ«الطائر المحاكي» مجددًا، ربما غوريلًا، ربما أي شيء. ما حدث في النهاية مرة أخرى أذهله كلية.

سمع صوتًا مفاجئًا غير واضح ثم كلمات.. كلمات بشرية، كل منها مألوفة.

«سادتي»

كانت الكلمة الأولى، ثم كان هناك توقف طفيف جدًّا.

«مؤسسة «سميثسونيان» ترحب بكم في جناحها الواقع بين الكواكب وفي المعارض البديعة في هذه اللحظة الحالية أمامكم».

كان ذلك الصوت التسجيلي لـ«ستيلويل»، لكنه لم يكن صادرًا من السماعات العلوية، بل أكثر كتمانًا.. من داخل المركبة!

بعد توقف طفيف، واصل الصوت:

«كلكم يجب... يجب...!».

تلعثم الصوت هنا وتوقف. وقف شَعْرُ «كليف» خوفًا.. لم يكن التلعثم موجودًا في المحاضرة المسجلة!

للحظة كان هناك صمت، ثم أتت صرخة.. صرخة رجل مبحوحة، مكتومة، من مكانٍ ما في قلب المركبة، ومتبوعة بشهيق وصرخات خافتة، كأنها لرجل في خوف عظيم أو محنة.

بكل عصب مشدود، شاهدِ «كليف» البوابة، سمع ضجيج ارتطام داخل المركبة، ثم طار خارجًا من الباب ظلٌ ما، كان بالتأكيد لإنسان، يلهث ونصف متعثر، جرى في الغرفة مباشرة تجاه «كليف». حين بات على بعد عشرين قدمًا، تبعه ظِلٌ «نووت» المهول خارج البوابة.

شاهد «كليف» لاهثًا، الرجل... كان «ستيلويل». رأى الآن قدومه المباشر إلى الطاولة التي يقبع خلفها «كليف» نفسه، كما لو كان سيأتي خلفها، لكنه حين صار على بعد خطوات قليلة فقط، اهتزت ركبتاه ضعفًا وسقط على الأرض.. فجأة كان «نووت» واقفًا فوقه. لكن «ستيلويل» لم يبد عليه أنه كان واعيًا بذلك، بدا مريضًا جدًّا لكنه ظل يبذل محاولات متشنجة عقيمة ليزحف إلى حِمَى الطاولة.

لم يتحرك «نووت»، مما شجع «كليف» للتحدث.

سأله:

- ما المشكلة، «ستيلويل»؟ هل بإمكاني المساعدة؟ لا تخف. أنا «كليف ساذرلاند»، أنت تعرفني، المصور.

دون أن يظهر أدنى اندهاش من وجود «كليف» هناك، ومتمسكًا بقوة في حضوره كما يتمسك رجل غارق بقشة، تكلم «ستيلويل» لاهثًا:

- ساعدني! «نووت»... «نووت»...!

بدا أنه غير قادر على المواصلة.

- «نووت» ماذا؟

سأله «كليف»، واعيا جدًّا بالرجل الآلي ذي العينين الناريتين، ملوحًا برعب في الأعلى، وخائفًا حتى أن يتحرك تجاه الرجل، أضاف «كليف» مؤكدًا:

- لن يؤذيك «نووت»، إني متأكد أنه لن يفعل، هو لا يؤذيني، ما الأمر؟ ماذا بإمكاني فعله؟

مع تعاظم فجائي للطاقة، نهض «ستيلويل» على مرفقيه.

سأل:

- أين انا؟

أجاب «كليف»:

- في الجناح بين الكواكب، ألا تعرف؟

بات تتنفس «ستيلويل» الثقيل وحده مسموعًا للحظة، ثم سأل بصوت مبحوح، ضعيف:

- كيف أتيتُ إلى هنا؟

قال «كليف»:

- لا أدري.

قال «ستيلويل»:

- كنت أحضر تسجيل محاضرة حين وجدت نفسي هنا فجأة... أو أقصد بالداخل هناك...

توقف عن الحديث فجأة وظهر عليه الخوف مجددًا.

سأل «كليف» بلطف:

- ثم ماذا؟

- كنت في ذلك الصندوق... وهناك، فوقي، كان «نووت»، الرجل الآلي، «نووت»! لكنهم جعلوا «نووت» مسالمًا! إنه لم يتحرك مطلقًا!

- كن ثابتًا، الآن.

قال «كليف».

- لا أظن أن «نووت» سيؤذيك.

سقط «ستيلويل» على الأرض.

- أنا ضعيف جدًّا.

قال لاهثًا:

- شيءٌ ما... هل بإمكانك إحضار طبيب؟

لم يعِ مطلقًا أن أعلاه، بعينين مسلطتين عليه في الظلمة، كان يقف الرجل الآلي الذي هابه بشكل عظيم.

بينما تردد «كليف»، في حيرة من أمره عما يفعل، أتى صوت الرجل في لهاث قصير، منتظم كدقات ساعة، تجرأ «كليف» ليتحرك نحوه، لكن أي تصرف من جانبه لم يكن ليساعد الرجل الآن. ضعف لهاثه وصار متشنجًا، ثم فجأة صار صامتًا

وجامدًا بالكلية. تحسس «كليف» نبضات قلبه، ثم تطلع عاليًا إلى العينين في الظل أعلاه.

همس:

- إنه ميت.

بدا أن الرجل الآلي مستوعبٌ، أو على الأقل مستمعٌ. انحنى إلى الأمام ونظر بإمعان إلى الجسد الساكن.

سأل «كليف» الرجل الآلي بغتة:

- ما الأمر، «نووت»؟ ماذا تفعل؟ هل بإمكاني مساعدتك بأي طريقة؟ بطريقة ما لا أصدق أنك غير ودود، ولا أصدق أنك قتلت هذا الرجل، لكن ماذا حدث؟ هل بإمكانك أن تفهمني؟ هل بإمكانك الحديث؟ ما الذي تحاول فعله؟

لم يصدر «نووت» صوتًا أو حركة، بل نظر فقط إلى الجسم الساكن عند قدميه، في وجه الرجل الآلي الآن وبقرب بالغ، رأى «كليف» نظرة التأمل الحزينة.

وقف «نووت» هكذا لدقائق عدة، ثم انحنى منخفضًا، أخذ الجسم الذابل بحذر - وحتى بلطف، بظن «كليف» - في ذراعيه القويتين، وحمله إلى المكان بمحاذاة الحائط حيث وُضعت القطع المتفرقة للرجال الآليين المشرفين. وضعه بحذر جانبهم. ثم ذهب عائدًا باتجاه المركبة.

دون خوف بعد الآن، تسلل «كليف» مشيًا بمحاذاة حائط الغرفة، بات إلى حدٍّ ما بعيدًا حيث الأجساد المتناثرة على الأرض حين توقف فجأة دون حراك، كان «نووت» يخرج مجددًا.

كان يحمل كيانًا يبدو جسدًا آخر، واحدًا أكبر، أمسكه بذراع واحدة ووضعه بحذر بجانب جسد «ستيلويل»، كان يحمل في ذراعه الأخرى شيئًا لم يستطع «كليف» تمييزه، ووضعه بجانب الجسد الذي وضعه للتو، ثم ذهب للمركبة وعاد مرة أخرى بكيان آخر وضعه بلطف بجانب الأجساد الأخرى، وحين انتهت هذه الجولة الأخيرة نظر ناحيتهم للحظة، ثم استدار ببطء نحو المركبة ووقف دون حراك، كما لو أنه يفكر مليًّا، بجانب المعبر المائل.

كبح «كليف» فضوله طويلًا قدر ما أمكن، ثم انتقل إلى الأمام وانحنى فوق الأشياء التي وضعها «نووت» هناك؛ أول ما في الصف كان جسد «ستيلويل» كما توقع، وبعده كان كتلة الفرو العظيمة غير المتشكلة لغوريلًا ميتة، غوريلًا البارحة. بجانب الغوريلًا رقد الشيء الذي حمله الرجل الآلي في يده الشاغرة؛ الجسد الصغير لـ«الطائر المحاكي». هذان الأخيران بقيا في المركبة طوال الليل، وبخصوص تعامله اللطيف المفاجئ معهم جميعًا، فقد كان ينظف المنزل فحسب، لكن هناك جسدًا رابعًا لم يكن يعلم حكايته، تحرك أقرب وانحنى بانخفاض شديد لينظر.

ما رآه جعله يحبس أنفاسه، مستحيل! أمعن في التفكير، كان هناك بعض الخلط في اتجاهاته، حرك وجهه إلى الخلف، قريبًا من أول جسد، ثم جرى دمه باردًا، كان

الجسد الأول لـ«ستيلويل»، لكن الأخير في الصف هو «ستيلويل» أيضًا، هناك جسدان لـ«ستيلويل»، الاثنان متشابهان تمامًا، كلاهما ميتان!

ابتعد «كليف» إلى الخلف صائحًا، ثم استولى عليه الخوف وركض في الغرفة مبتعدًا عن «نووت»، وصرخ وضرب باهتياج على الباب. كان في الخارج ضجيجٌ.

صرخ في رعب:

- أخرجوني! أخرجوني! أخرجوني! أوه، أسرعوا!

انفتح شق بين البابين واندفع في طريقه خلاله كحيوان مفترس وجرى بعيدًا خارجًا على المرج الأخضر، نظر إليه بدهشة زوجان متأخران على مسار قريب، وهو ما أعاد بعض المنطق لرأسه مما جعله يبطئ من سرعته ويتوقف.

بالعودة إلى المبنى، بدا كل شيء كعادته، وبالرغم من ذعره، لم يكن «نووت» يلاحقه. كان لا يزال في قدميه جواربه، متنفسًا بثقل، جلس على العشب المبتل وارتدى حذائيه، ثم وقف ونظر إلى المبنى، محاولًا أن يتمالك نفسه، يا له من مزيج عجيب: «ستيلويل» الميت، والغوريلَّا الميتة، و«طائر المحاكي» الميت، كلهم يموتون أمام عينيه. ثم ذلك الشيء الأخير المخيف؛ «ستيلويل» الثاني الميت، الذي لم يرَهُ يموت، ولطافة «نووت» الغريبة، والتعبير الحزين الذي رآه مرتين على وجهه.

بينما كان ينظر، بدأت الأراضي حول المبنى تعود للحياة. تجمع عدة أشخاص عند باب الجناح، سُمعت عاليًا صفارة الإنذار لطائرة عمودية للشرطة، ثم على مسافة واحدة أخرى، ومن كل الجهات أتى الناس راكضين، قليلين في البداية، ثم أكثر وأكثر. حطت طائرات الشرطة على المرج بالضبط خارج باب الجناح، وظن أنه استطاع رؤية الموظفين يختلسون النظر داخلًا. ثم فجأة غمرت أضواء الجناح الساطعة المكان، توجه «كليف» عائدًا، متحكمًا بنفسه الآن.

دخل «كليف» مجددًا إلى أرض المتحف، كان قد ترك «نووت» واقفًا يفكر على جانب المعبر المائل، لكنه الآن من جديد في وقفته القديمة المألوفة في المكان المعتاد، كما لو أنه لم يتحرك أبدًا. كان باب المركبة مغلقًا، واختفى المعبر المائل. لكن الجثث، الجثث الأربعة المتباينة بغرابة لا تزال راقدة بجانب الرجال الآليين المشرفين المهدمين حين تركهم في الظلام.

روعته صيحة من خلف ظهره؛ كان حارس المتحف في زيه الرسمي يشير إليه.

صرخ الحارس:

- هذا هو الرجل! حين فتحت الباب اندفع هذا الرجل خارجًا وركض كالشيطان!.

تجمع موظفي الشرطة على «كليف».

سأله أحدهم معنفًا:

- مَن أنت؟ ما كل هذا؟

أجاب «كليف» بهدوء:

- أنا «كليف ساذرلاند»، مصور صحافي، وأنا الشخص الذي كنت بالداخل هنا وهرب، كما يقول الحارس.

سأله الموظف، محدقًا فيه:

- ماذا كنت تفعل؟ ومن أين أتت هذه الجثث؟

أجاب «كليف»:

- سادتي، سأخبركم بكل سرور، لكن لنتفق على العمل أولًا، كانت هناك بعض الأحداث الهائلة تجري في هذه الغرفة، ولقد رأيتهم ولديَّ القصة، لكن...

ابتسم:

- لا بد أن أعتذر عن الإجابة دون مشورة المجلس حتى أبيع قصتي لإحدى النقابات الصحافية، تعرفون كيف هو الأمر. إذا سمحتم لي باستخدام الراديو في طائرتكم، للحظة فقط، سادتي، ستحظون بالقصة كاملة بعد ذلك، لنقل في نصف ساعة، حين يبثها رجال التلفاز. في هذه الأثناء، صدقوني، ليس هناك من شيء لتفعلوه، ولن تكون هناك خسائر بالتأخير.

رمش الموظف الذي طرح الأسئلة بعينيه، وسارع أحد الآخرين - الذي لم يكن بالطبع رجلًا مهذبًا - في رد فعله، وخطا نحو «كليف» بقبضة محكمة، وجرده «كليف» من قوته بتسليمه وثائق اعتماده الصحافية، ألقى لمحة سريعة عليها ووضعها في جيبه.

الآن كان هناك خمسون شخصًا، وكان بينهم عضوان يعرفهما من هيئة نقابية، وصلا بطائرة هليكوبتر. هدرت الشرطة، لكنهم تركوه يهمس في آذانهم ثم ذهب خارجًا تحت الحراسة إلى طاقم الطائرة. خلال خمس دقائق هناك، أتم «كليف» صفقة بالراديو ستجلب له مالًا أكثر مما كسبه قبلًا في سنة، بعد ذلك سلَّم كل صوره والصور السالبة للطاقم ومنحهم القصة، ولم يضيعوا ثانية واحدة في الدوران إيابًا إلى مكتبهم مع الأخبار المتناثرة.

وصل الكثير والكثير من الناس، وأخلت الشرطة المبنى. لاحقًا، بعد عشر دقائق دخل طاقم كبير من رجال الراديو والتلفاز عنوة إلى الداخل، أرسلوا بواسطة النقابة التي تعامل معها، وبعد دقائق قليلة لاحقًا، تحت الأضواء الباهرة المعدة بواسطة العمال وواقفًا بالقرب من المركبة وليس ببعيد عن «نووت» - رافضًا أن يقف أسفله - منح «كليف» قصته للكاميرات والميكروفونات، التي أطلقتها في جزء من الثانية لكل ركن من المجموعة الشمسية.

بعد ذلك مباشرة أخذته الشرطة إلى السجن دون سبب بعينه، ولأنهم كانوا بالغي الغضب، بقي «كليف» في السجن طيلة تلك الليلة، حتى الثامنة من صباح اليوم

التالي، حين نجحت النقابة أخيرًا في البحث عن محامٍ وأخرجوه، ومن ثمَّ، حين كان يغادر أخيرًا، أمسك عميلٌ فيدرالي برسغه.

أخبره العميل:

- أنت مطلوب لأسئلة إضافية في مكتب التحقيقات القارية.

ذهب «كليف» معه طوعًا.

خمسةٌ وثلاثون مسؤولًا فيدراليًّا، ذوو رتب عليا وأسماء كبيرة كانوا في انتظاره بالكامل في قاعة مؤتمرات مهيبة، كان في موقع الإدارة أحد أعضاء سكرتارية الرئيس، ووكيل وزارة الخارجية، ووكيل وزارة الدفاع، وعلماء، وعقيد، وموظفون تنفيذيون، ورؤساء أقسام، وأفراد من المرتبة الثالثة، و«ساندرز» العجوز ذو الشارب الرمادي، رئيس الـ«م.ت.ق» (مكتب التحقيقات القارية).

جعلوه يقص قصته مجددًا من البداية، وبعد ذلك، على أجزاء، من البداية مرة أخرى، ليس لأنهم لم يصدقوه، بل لأنهم ظلوا يتمنون أن يستخلصوا بعض من الحقيقة التي ستسلط ضوءًا معتبرًا على سر سلوك «نووت» وأحداث الليالي الثلاث الماضية، أرهق «كليف» ذهنه بالتفكير بدأبٍ، لأجل كل تفصيلة.

طرح الرئيس «ساندرز» معظم الأسئلة. وبعد ما يزيد على ساعة، حين ظن «كليف» أنهم انتهوا، سأله «ساندرز» عدة أسئلة أخرى، تتعلق جميعها بآرائه الشخصية عما انكشف.

- هل تظن أن «نووت» قد شُوش بأي طريقة بواسطة الأحماض، الأشعة، الحرارة، وما شابه مما طبق عليه من قبل العلماء؟

- لم أرَ دليلًا على ذلك.

- هل تظن أن بمقدوره الرؤية؟

- أنا متأكد أنه يستطيع الرؤية، أو بالأحرى لديه قوى أخرى معادلة.

- هل تظن أن بمقدوره السماع؟

- نعم سيدي، تلك المرة حين همست له أن «ستيلويل» كان ميتًا، انحنى بانخفاض أكبر، كما لو كان يريد أن يرى الأمر بنفسه، لن أفاجأ إذا فهم أيضًا ما قلته.

- ألم يتكلم في أي وقت، باستثناء تلك الأصوات التي أصدرها ليفتح المركبة؟

- ولا كلمة واحدة، لا بالإنجليزية ولا بأي لغة أخرى. ولا صوت واحدًا بفمه.

سأله أحد العلماء:

- في رأيك، هل أُضعفت قوته بأي طريقة بواسطة معالجتنا؟

- لقد أخبرتكم كيف تعامل مع الغوريلَّا بسهولة، لقد هاجم الحيوان ورماه بعيدًا إلى الخلف، حيث تراجع بعد ذلك إلى أقصى المبنى، خائفًا منه.

ومن مسؤول طبي:

- كيف تفسر حقيقة كشف تشريحنا للجثة عن عدم وجود جرح مميت، لا سبب للموت، في أي من جثث: الغوريلَّا، «الطائر المحاكي»، أو توأمي «ستيلويل» المتطابقين؟

- لا أستطيع التفسير.

«ساندرز»:

- تظن أن «نووت» خطير؟

- من المحتمل أنه خطير جدًّا.

- لكن مع ذلك تقول أن لديك شعورًا أنه ليس عدوانيًّا.

- قصدت بالنسبة لي. لديَّ ذلك الشعور، وأخشى أني لا أستطيع إعطاء أي سبب وجيه لذلك، باستثناء الطريقة التي عفا فيها عني مرتين حين كنت تحت سيطرته. أظن ربما الطريقة الرقيقة التي تعامل بها مع الجثث لها علاقة بذلك الشعور، وربما النظرة الحزينة المتأملة التي ضبطتها مرتين على وجهه.

- أتخاطر بالبقاء في المبنى وحيدًا لليلةٍ أخرى؟

- ليس لأي شيء.

كانت هناك ابتسامات.

- هل حصلت على أي صور لما حدث الليلة الماضية؟

بجهد، أمسك «كليف» بأعصابه، لكنه كان مكتسحًا بموجة من الحياء:

- لا، سيدي.

أنقذه رجل صامت حتى الآن بالقول:

- منذ برهة مضت، استخدمت كلمة «هادف» فيما يتعلق بأفعال «نووت». هل تستطيع أن توضح ذلك قليلًا؟

- نعم، كان هذا من الأشياء التي صدمتني؛ لم يبدُ أن «نووت» قد أهدر حركة ما أبدًا، بإمكانه التحرك بسرعة مفاجئة حين يريد، رأيت ذلك حين هاجم الغوريلَّا، لكن في أغلب الأوقات الأخرى كان يسير هنا وهناك كما لو أنه يُنهي بطريقة منهجية منظمة مهمة بسيطة ما. وهذا يذكرني بشيء غريب: في أحيان يكون في وضع واحد، أي وضع، ربما نصف منحني، ويبقى هناك لدقائق في إحدى المرات، كما لو أن مقياسه لقيم الوقت غير طبيعي مقارنة بمقياسنا، بعض الأشياء يفعلها بطريقة مفاجئة، سريعة، وأخرى بطيئة بطريقة مفاجئة، ربما يعود هذا لفتراته الطويلة من عدم الحركة.

قال أحد العلماء:

- هذا مثيرٌ جدًّا، كيف تعلل حقيقة أنه يتحرك مؤخرًا فقط في الليل؟

- أظن أنه يفعل شيئًا لا يريد لأحد أن يراه، والليل هو الوقت الوحيد الذي يكون فيه وحيدًا.

- لكنه واصل عمله حتى بعد اكتشافه أنك هناك.

- أعرف، لكن ليس لدي تفسير آخر، إلا إذا اعتبرني غير مؤذٍ أو غير قادر على إيقافه، وهو ما كان عليه الحال بالتأكيد.

- قبل أن تصل، كنا نفكر أن نضعه في كتلة مضلعة ضخمة من الزجاج المعزول. هل تظن أنه سيخترقه؟

- لا أعرف. على الأرجح سيفعل، لقد احتمل الأحماض والأشعة والحرارة، لكن من الأفضل أن يتم ذلك في النهار، يبدو أن الليل هو الوقت الذي يتحرك فيه.

- لكنه تحرك في النهار حين خرج من المركبة مع «كلاتو».

- أعرف.

بدا أن ذلك كل ما استطاعوا التفكير به ليسألوه. ضرب «ساندرز» بيده على الطاولة، وقال:

- حسنًا، أظن هذا كل شيء، سيد «ساذرلاند»، شكرًا لمساعدتك، ودعْني أهنئك لأنك شاب شديد الحماقة والعناد والشجاعة، رجل أعمال شاب.

علا وجهه ابتسامة خافتة جدًّا.

- أنت حرٌّ في الذهاب الآن، لكني قد أعود للاتصال بك لاحقًا. سنرى.

سأل «كليف»:

- هل لي بأن أبقى بينما تقررون ما ستفعلون بشأن ذلك الزجاج المعزول؟ ما دمت هنا سأود الحصول على المعلومة.

- لقد أُتخذ القرار مسبقًا. المعلومة لك: سيبدأ الصبُّ حالًا.

قال «كليف»:

- شكرًا، سيدي.

وسأل المزيد بهدوء:

- وهل تتكرم عليَّ لتخولني السلطة لأكون حاضرًا خارج المبنى الليلة؟ بالخارج فقط؛ لديَّ شعور أن شيئًا ما سيحدث.

قال «ساندرز» بخشونة:

- لا تزال تريد سبقًا صحافيًّا آخر، فهمت، إذًا ستجعل الشرطة تنتظر بينما تتم صفقة عملك.

- ليس مجددًا، سيدي. إذا حدث أي شيء، سيحصلون عليه فورًا.

تردد الرئيس، ثم قال:

- لا أعرف، سأخبرك بشيء: جميع الخدمات الإخبارية سترغب في أن يكون لها رجال هناك، ولا نستطيع القيام بذلك، لكن إذا كان بإمكانك الترتيب بأن تمثلهم جميعًا بنفسك، فهيا بنا. لا شيء سيحدث، لكن تقاريرك ستساعد في تهدئة أولئك الهستيريين. اطلعني على ما يُستجد.

شكره «كليف» وأسرع خارجًا وهاتف نقابته ليطلعهم على المعلومة -بحرية - ثم أخبرهم باقتراح «ساندرز». بعد عشر دقائق، أعادوا الاتصال به، قالوا: إن كل شيء قد تم ترتيبه، وأخبروه أن يأخذ قسطًا من النوم، سيغطون عملية الصب.

بقلب مرح، هرع «كليف» عائدًا إلى المتحف، كان المكان محاطًا بآلاف الفضوليين، مصدودين بعيدًا إلى الخلف بواسطة طوق قوي من الشرطة، للمرة الأولى لم يستطع العبور، برغم تعرفهم عليه، إذ كانت الشرطة لا تزال متأثرة. لكنه لم يهتم كثيرًافقد شعر فجأة بتعب شديد واحتاج إلى أن يغفو قليلًا، ذهب عائدًا إلى فندقه، أجرى اتصالًا، ثم ذهب إلى السرير.

كان غافيًا من بضع دقائق فقط حين رن جرس هاتفه. رد عليه بعيون مغلقة. كان أحد الشباب في النقابة، مع أخبار غريبة. فقد أُبلغ بتقرير عن «ستيلويل» للتو؛ أنه حي يرزق، «ستيلويل» الحقيقي. الاثنان الميتان كانا نوعًا من النسخ، لم يستطع تخيل كيف يفسرهما، فليس لديه إخوة.

للحظة، صحصح «كليف» كليًّا، ثم عاد للسرير، لم يعد هناك شيء خارق للعادة بعد الآن.

في الساعة الرابعة، كان أكثر يقظة، وبحوزته عدسة مُكبرة للرؤية بأشعة تحت حمراء مدلاة فوق كتفه، مر «كليف» من خلال نطاق الشرطة ودخل باب الجناح. كان حضوره متوقعًا ولم تكن هناك مشكلة، بينما وقعت عيناه على «نووت»، سرى داخله شعور غريب، ولسبب مبهم ما، كان آسفًا بالكاد للرجل الآلي العملاق.

وقف «نووت» بالضبط كما يقف على الدوام؛ القدم اليمنى متقدمة قليلًا على الأخرى، ونفس التعبير المهموم على وجهه، لكن الآن هناك شيء أكثر من ذلك؛ بات محبوسًا بشكل متين في كتلة مضلعة هائلة من الزجاج المعزول الشفاف، ممتدة من الأرضية التي يقف عليها إلى أعلى قمة أقدامه الثمانية الكاملة، ومن هناك إلى فوق لمسافة مساوية، ولنَحْوِ ثمانية أقدام على اليسار واليمين والخلف والأمام. كان محجوزًا في سجن صافٍ كالماء يحصر كل بوصة من سطحه ويمنع حتى أقل خلجة من عضلاته المذهلة.

كان من السخف بلا شك الشعور بالأسف لأجل رجل آلي، آلية من صنع الإنسان، لكن «كليف» صار على اعتقاد بأنه حيٌّ حقًّا، كإنسان تدب فيه الحياة. لقد أظهر هدفًا وإرادة، وقام بأعمال معقدة واسعة الحيلة، كما أفصح وجهه بوضوح عن مشاعر الحزن مرتين، وعبَّر عدة مرات عما بدا أنه تفكير عميق، فقد كان عديم الرأفة مع

الغوريلا، ولطيفا مع «الطائر المحاكي» والجثتين الأخريين، وامتنع لمرتين عن سحق «كليف» حين تبدت كل الأسباب لفعل ذلك. لم يشك «كليف» لدقيقة أنه ما زال حيًّا، أيًّا كان معنى ذلك «الحي».

لكن رجال المذياع والتلفاز كانوا ينتظرون بالخارج، استدار وذهب إليهم وصاروا منشغلين جميعًا. بعد ساعة، جلس «كليف» وحده على ارتفاع خمسة عشر قدمًا فوق سطح الأرض على شجرة كبيرة كان موضعها بالضبط في الجانب الآخر من ممشى البناية، مكنت له من خلال نافذة منظور واضحًا للجزء العلوي من جسد «نووت». كان يربط على أطرافه ثلاث أدوات: عدسته ذات الأشعة تحت الحمراء، ميكروفون مذياع، وعين تلفازية ذات أشعة تحت حمراء مع ملتقط صوت، ستسمح له الأولى، العدسة المكبرة، برؤية صور مكبرة للرجل الآلي في الظلام بعينيه، كما لو أنها بالنهار، وستلتقط الأغراض الأخرى أي مشهد أو صوت، بما يتضمن ملاحظاته الشخصية، ويبثها لعدة استوديوهات إذاعية ستطرحها لملايين الأميال في كل الاتجاهات عبر الفضاء. لم يحظ مصور بمهمة بتلك الأهمية من قبل، وعلى الأرجح، بل من المؤكد، ما كانت لتُمنح لمن يغفل التقاط الصور، لكن كل هذا قد نُسيَ الآن، وكان «كليف» فخورًا جدًّا، ومستعدًّا.

بالخلف بعيدًا في دائرة مهولة وقف حشد كبير من الفضوليين والخائفين. هل سيحتجز القالب الزجاجي «نووت»؟ وإذا لم يفعل، فهل سيخرج متعطشًا للانتقام؟ هل ستخرج كائنات لا يمكن تصورها من المركبة وتطلق سراحه، وربما تنتقم له؟ كان الملايين عند أجهزة استقبالهم في غاية الرعب، كانوا يأملون في ألا يحدث شيء فظيع، ومع ذلك توقعوا حدوث شيء ما، وكانوا على استعداد للفرار.

في مواقع مختارة بعناية غير بعيدة من «كليف» على كل الجهات تواجدت مدفعيات إشعاعية متنقلة مزودة بوحدات عسكرية، وفي منخفض يقع خلفه، إلى يمينه، كانت هناك دبابة ضخمة مستقرة في محلها مع مدفع كبير، كل سلاح موجَّه على باب الجناح. وقف رتل من دبابات متأهبة، أصغر وأسرع، على بعد خمسين ياردة في الشمال مباشرة، كانت أجهزة العرض الإشعاعية الخاصة بهم موجهة صوب الباب، ولكن ليس أسلحتهم. احتوت الأراضي حول المبنى على بقعة واحدة فقط - المنخفض الذي تقف فيه الدبابة العظيمة - حيث كانت هناك قذيفة موجهة بحساب تقريبي نحو المدخل لن تسبب ضررًا وخسارة في الأرواح لشطر ما من العاصمة الممتدة دون نظام.

هبط الغسق، تدفق إلى الخارج آخر ضباط الجيش، سياسيون وآخرون ذوو امتيازات خاصة، رنت أبواب الجناح المعدنية الهائلة وأغلقت لتلك الليلة، لاحقًا بات «كليف» وحيدًا، باستثناء المراقبين عند أسلحتهم منتشرين حوله.

مرت ساعات.

بزغ القمر.

من وقت إلى آخر أبلغ «كليف» طاقم الاستوديو أن كل شيء كان هادئًا. لم تستطع عيناه غير المتعاونتين الآن رؤية شيء من «نووت» سوى النقطتين الحمراوين الخافتتين لعينيه، لكن من خلال العدسة المكبرة برز بوضوح، كما لو كان في ضوء النهار، من مسافة واضحة تبلغ عشر خطوات فقط. لا وجود لدليل، باستثناء عينيه، على أنه كان أي شيء سوى معدن عَطب ميت.

مرت ساعة أخرى، قلَّب «كليف» من حين إلى آخر مؤشرات ساعته الإذاعية/ التليفزيونية الصغيرة لثواني قليلة، فقط في كل مرة، بسبب بطاريتها المحدودة. كان الجو مليئًا بـ«نووت» ووجهه واسمه، وما أن أظهرت الشاشة الصغيرة الشجرة التي جلس عليها وقتئذ بالضبط، تركزت عليه إشارات تليفزيونية ذات الأشعة تحت الحمراء القوية بعيدة المدى من نقاط قريبة لتعطي رؤية مثلى، لقد منحته إحساسًا غريبًا.

ثم، فجأة، شاهد «كليف» شيئًا وأحنى بسرعة عينه على العدسة المكبرة؛ كانت عينا «نووت» تتحركان، على الأقل اختلفت شدة الضوء المنبعثة منهما. كان الأمر كما لو أن كشافَي ضوء أحمرين بالغي الصغر التفتا من جهة إلى جهة، تقاطعت أشعتهما في كل حركة مع عينا «كليف».

بحماسة، أرسل إشارة للاستوديوهات، قاطع إشارات الاستقبال، ووصف الظاهرة. استجاب الملايين للحماسة في صوته.. هل من المعقول أن يتحرر «نووت» من ذلك السجن الفظيع؟

مرت دقائق، استمر وميض العينين، لكن «كليف» لم يستطع تبين أي تحرك أو محاولة تحرك لجسد الرجل الآلي، وصف في مقاطع موجزة ما رآه، من الواضح أن «نووت» حي، فلم يكن هناك من شك أنه يبذل جهدًا للنفاذ من السجن الشفاف الذي حُبس فيه بسرعة في النهاية، لكن ما لم يتمكن من كسرَه، يجب ألا يبد أية حركة.

أزاح «كليف» عينه من العدسة المكبرة وجفل. كانت عينه المجردة تنظر إلى «نووت» مكتنفًا في الظلام، رأى شيئًا مذهلًا لم يظهر له بعد من خلال آلته؛ انتشر وهج أحمر خافت فوق جسد الرجل الآلي، بأصابع مرتجفة أعاد تعديل عدسات العين التليفزيونية، لكن حتى حين فعل ذلك نما الوهج في حدة، بدا كما لو أن جسد «نووت» كان يسخن حتى الاتقاد!

وصفها في شذرات منفعلة، فقد توجه معظم تركيزه في مواصلة تعديل عدساتها، مر «نووت» من شكل أحمر باهت إلى شكل ساطع أكثر فأكثر، يتوهج بوضوح الآن حتى من خلال المكبر.

وبعد ذلك تحرك! دون لبس.. تحرك!

كان يحوز بطريقة ما بداخله الوسائل اللازمة ليرفع من درجة حرارة جسده، وكان يستغل القصور الوحيد للبلاستيك الذي حُبس فيه. تذكر «كليف» الآن، فالزجاج

المعزول مادة حرارية لدنة تتصلب بالتبريد وبالعكس فتلين من جديد مع الحرارة، كان «نووت» يذيب طريقه للخروج!

في مقطع صغير من ثلاث كلمات، وصف «كليف» ما يحدث، بات الرجل الآلي محمرًّا بلون الكرز، استدارت الأطراف الحادة للقالب الشبيه بالثلج، وبدأ الهيكل بأكمله في الارتخاء، تسارعت العملية، تحرك جسد الرجل الآلي، انخفض اللدن إلى مستوى قمة رأسه، ثم إلى رقبته، ثم خصره، أقصى ما يستطيع «كليف» رؤيته. صار جسمه حرًّا! وبعد ذلك، وهو لا يزال كرزي الحمرة، تحرك إلى الأمام خارج نطاق الرؤية!

أجهد «كليف» عيناه وأذناه، لكنه لم يلتقط سوى الجلبة البعيدة للمشاهدين خلف خطوط الشرطة، والقليل من تعليمات خفيضة حادة من المدفعيات المتموضعة حوله، هم أيضًا قد سُمعوا وربما شوهدوا من الشاشة المتلفزة، وكانوا منتظرين.

مرت عدة دقائق، كان هناك تشقق حادٌّ رنان، تطايرت منفتحة الأبواب المعدنية العظيمة للجناح، وخطا العملاق المعدني إلى الخارج، لم يعد متوهجًا، توقف دون حركة، واخترقت عيناه الحمراوان المدى من جهة إلى جهة عبر الظلام.

زعقت أصوات في الظلام بأوامر، وفي لمحة انغمر «نووت» في شبكة إشعاعات ضيقة من الأضواء الملونة الحارقة، بدأت الأبواب المعدنية من خلفه بالذوبان، لكن جسده الأخضر العظيم لم يُظهر أي تغير على الإطلاق، بعد ذلك بدا أن العالم يوشك على نهايته، كانت هناك صيحة تصم الآذان، بدا كل شيء أمام «كليف» متفجرًا في دخان وفوضى، مالت شجرته بسرعة إلى جهة واحدة حتى كاد أن يرتمي خارجًا منها، تساقطت قطع ماطرة من الحطام، انطلق مدفع الدبابة، وكان متأكدًا من أن «نووت» قد أُصيب.

تمسك «كليف» جيدًا واسترق النظر إلى الضباب، حين انقشاعه، استطاع تمييز نشاط ما بين الأنقاض عند الباب، وبعدها رأى بشكل خافت ولكن لا لبس فيه كيان «نووت» الهائل ينهض على قدميه، استقام ببطء، التف باتجاه الدبابة، وفجأة اندفع كالسهم باتجاهها في دائرة واسعة، انحرف المدفع الكبير محاولًا تغطيته، لكن الرجل الآلي تجنبه وبعدها جثا عليها، بينما تناثر الطاقم، دمر مؤخرته بضربة واحدة من قبضة يده، ثم استدار ونظر مباشرة نحو «كليف».

تحرك تجاهه، وفي لحظة صار تحت الشجرة، تسلق «كليف» عاليًا، وضع «نووت» ذراعيه الاثنتين حول الشجرة وأعطى دفعة رافعة، فاقتلعت الشجرة من جذورها ووقعت منهارة على جانبها، وقبل أن يفلح «كليف» بالاندفاع بعيدًا، كان الرجل الآلي قد رفعه بين يديه المعدنيتين.

ظن «كليف» أن وقته قد حان، لكن ما زالت هناك أشياء غريبة مخبأة له تلك الليلة، لم يؤذه «نووت»، نظر إليه من بُعد ذراع للحظة، ثم رفعه لوضعية الجلوس على كتفيه، ساقاه على طرفي رقبته، ثم استدار ممسكًا بكاحل واحد وبدأ يتحرك دون تردد في الطريق الذي يؤدي ناحية الغرب بعيدًا عن المبنى.

ركب «كليف» بلا حيلة، رأى خارجًا فوق المروج فوهات بنادق من قطع الميدان المتناثرة تتحرك مثلما يتحرك، كان «نووت» نفسه هو هدفهم الأوحد، لكنهم لم يطلقوا النيران، تمنى «كليف» أن يحصن «نووت» نفسه بوضعه على كتفيه في مواجهة هذا.

انعطف الرجل الآلي مباشرة تجاه الحوض المديد، انتفضت معظم قطع الميدان ببطء بعدها، بعيدًا في الوراء، رأى «كليف» مد مظلم من الاضطراب يتسرب داخل المنطقة المخلاة، انكسرت خطوط الشرطة. ضاقت الحلقة في الأمام بسرعة نحو الأطراف، ثم تمايل المد من كل الجهات عدا المقدمة حتى صار بالمستطاع تمييز هتافات وصيحات منفردة، وصلت إلى حدها بعد قرابة خمسين ياردة، وجازفت قلة من الناس بالاقتراب.

لم يعرهم «نووت» اهتمامًا، ولم يعد يهتم لحمله الثقيل أكثر من اهتمامه بذبابة، شكلت رقبته وكتفاه لـ«كليف» مقعدًا صلبًا كالفولاذ، لكن مع اختلاف أن عضلاتهم المستترة انثنت مع كل حركة، بالضبط كما ستفعل تلك التي لدى بشري، بالنسبة لـ«كليف»، صارت هذه العضلات المعدنية أعجوبة زاهية.

باستقامة كطيران نحلة عبر المروج، وفوق الطرقات، وعبر صفوف ضيقة من الأشجار حمل «نووت» الشاب، تلاحقهما صيحات آلاف الناس من قرب. في الأعلى تئز طائرات عمودية وطائرات مندفعة، من بينهم سيارات شرطة مع صفارات إنذارهم المحطمة للأعصاب. في الأمام بالضبط تقع المياه الساكنة للحوض المديد، وفي وسطه الضريح الرخامي البسيط للسفير المقتول بوحشية، «كلاتو»، يلمع اسودادًا وبرودة في أضواء الكشافات الموجهة دائمًا نحوه في الليل.. أهذا كان موعدًا مع الميت؟

دون لحظة تردد، مشى «نووت» بخطوات واسعة على طول الضفة ودخل الماء. ارتفعت إلى ركبتيه، ثم خصره، حتى صارت قدما «كليف» تحتها، صنع الرجل الآلي مباشرةً في المياه المظلمة لضريح «كلاتو» طريقه الذي لا محيد عنه.

ارتفعت الكتلة المربعة الداكنة للرخام اللامع إلى أعلى، كلما اقتربوا منها، بدأ جسد «نووت» يخرج من الماء بينما بات القاع في الأعلى، حتى خطت قدماه المقطرتان على أولى درجات الهرم المتصاعد، أمسوا في لحظة على القمة، على المنصة الضيقة التي يرقد في منتصفها الضريح المستطيل البسيط.

في قلب الكشافات الغاشية، سار الرجل الآلي العملاق حوله مرة، وبإنحناءة استجمع قواه وانطلق بدفعة جبارة تجاه القمة. تصدع الرخام، انزلق الغطاء السميك بانحراف وانكسر بضجيج عالٍ على الجهة البعيدة، انحنى «نووت» على ركبتيه ونظر من خلاله، جالبًا «كليف» نحو أعلى الحافة.

بالداخل، في ظلٍّ حادٍّ منعكس عن الأضواء المشعة المتجمعة، رقد تابوت لدن شفاف، مسوَّر بسماكة ومُحصن في مواجهة القرون، ومحتوٍ على كل ما هو فانٍ من «كلاتو»، زائر غير معلن من المجهول الهائل، رقد كما لو أنه نائم، تعلو وجهه

النظرة النبيلة شبه الإلهية التي تسببت في إيمان بعض الجاهلين بأنه إلهيٌّ. كان مرتديًا الثوب الذي وصل فيه، لا ورود ذابلة، لا جواهر، لا زينة، كان ليبدو وثنيًا. عند قدوم التابوت وضع الصندوق المُحكم الصغير من اللدن الشفاف أيضًا الذي احتوى على كل تسجيلات الأرض لزيارته: وصفًا للأحداث المتعلقة بوصوله، صورًا لـ«نووت» والمركبة، والسجل الفيلمي القصير السمعي/البصري الذي التقط لحظاته وكلماته المقتضبة القليلة إلى أبد الآبدين.

جلس «كليف» فائق الثبات، متمنيًا لو باستطاعته رؤية وجه الرجل الآلي، لم يتحرك «نووت» كذلك من موضعه المتأمل المهيب، لم يدم لوقت طويل، هناك على الهرم المضاء بتألق، تحت العيون الخائفة، الصاخبة للجمع الغفير، قدم «نووت» تحية أخيرة لسيده الجميل والمُوقر.

فجأة، بعد ذلك، انتهى الأمر، مد «نووت» يده وأخذ صندوق التسجيلات الصغير، وقف على قدميه وبدأ ينزل الدرجات. عائدًا عبر الماء، عائدًا مباشرة إلى المبنى، عبر مروج ودروب كما من قبل، صنع طريقه غير المقاوم، تلاشت من أمامه بعيدًا الحلقة الفوضوية للناس، تبعوه من الخلف بأقرب ما استطاعوا من جرأة، دائسين بعضهم بعضًا في جهودهم لإبقائه في مدى البصر، لا تسجيلات تلفازية لعودته، لقد دُمرت كل شاحنات الاستقبال في الطريق إلى الضريح.

حينما اقتربوا من المبنى، رأى «كليف» أن مقذوف الدبابة قد صنع فجوة باتساع عشرين قدم ممتدة من السقف إلى الأرض. ما زال الباب مفتوحًا، و«نووت» بالكاد يغير إيقاعه المتواصل، صنع طريقه فوق الأنقاض وذهب مباشرة إلى نهاية بوابة المركبة، تساءل «كليف» إن كان سيطلق سراحه. وهو ما حدث؛ فقد وضعه الرجل الآلي بالأسفل وأشار له باتجاه الباب، ثم وهو يستدير، أصدر الأصوات التي فتحت المركبة، انزاح المعبر المائل إلى الأسفل ودخل. ثم اقترف «كليف» الأمر الجنوني الشجاع الذي جعله مشهورًا لجيلٍ؛ فما إن بدأ المعبر المائل بالانزياح عائدًا للداخل، قفز فوقه ودخل المركبة بذاته، وأغلقت البوابة!

كان الظلام حالكًا، والصمت مطلقًا. لم يتحرك «كليف». شعر أن «نووت» كان قريبًا، أمامه تمامًا، وقد كان كذلك. حوطت يده المعدنية الصلبة خصره، سحبه في مواجهة جانبه البارد، وحمله لمكان ما في المقدمة. غمرت مصابيح مختبئة فجأة محيط المكان بضوء أزرق.

وضع «كليف» بالأسفل ووقف ينظر إليه. ندم الشاب مسبقًا على تصرفه الطائش، لكن الرجل الآلي، باستثناء عينيه غير المفهومتين دائمًا، لم يبدُ غاضبًا. أشار إلى كرسي بلا ظهر ولا ذراعين في إحدى زوايا الغرفة. أطاعه «كليف» فورًا هذه المرة وجلس بخنوع، لم يجازف لفترة حتى للنظر من حوله. رأى أنه في مختبر صغير من نوعٍ ما. اصطفت أجهزة معدنية وبلاستيكية معقدة على الحوائط وملأت عدة طاولات صغيرة، لم يستطع تمييز أو تخمين وظيفة قطعة واحدة. احتلت وسط الغرفة طاولة معدنية طويلة رقد أعلاها صندوق واسع، يشبه كثيرًا التابوت

بالخارج، متصلًا بأسلاك عدة إلى جهاز معقد في الجهة البعيدة، انتشر مخروط ضوئي ساطع من مصباح ذي عدة أنابيب من العلية القريبة.

شيء واحد بدا مألوفًا، مغطى نصفه على طاولة قريبة، وفي غير مكانه جدًّا. بدا من حيث جلس أنها حقيبة أوراق، حقيبة أوراق عادية لرجل من الأرض. تعجب لذلك. لم يلقِ له «نووت» بالًا، لكنه قطع على الفور بالحافة الضيقة لأداة سميكة الغطاء عن صندوق التسجيلات الصغير، أخرج شريط الفيلم السمعي/البصري وقضى نصف ساعة كاملة يعدله داخل الجهاز على آخر الطاولة الكبيرة. شاهد «كليف» مفتونًا متعجبًا للمهارة التي استخدم الرجل الآلي بها أصابعه المعدنية المتينة. هذا وقد أنجز، اشتغل «نووت» لفترة طويلة على بضعة أجهزة ملحقة على طاولة ملاصقة، ثم توقف برهة متفكرًا للحظة ودفع قضيبًا طويلًا نحو الداخل.

خرج صوت من الصندوق الشبيه بالتابوت؛ صوت السفير المقتول!

قال الصوت:

- أنا «كلاتو»، وهذا «نووت».

من التسجيل ومض داخل عقل «كليف» الكلمات الأولى والوحيدة التي نطق بها السفير، لكن بعد ذلك في الثانية التالية مباشرة، رأى أنه لم يكن كذلك، كان هناك رجل في الصندوق! تحرك الرجل وجلس ناهضًا، ورأى «كليف» الوجه الحي لـ«كلاتو»!

بدا «كلاتو» متفاجئًا نوعًا ما وتحدث سريعًا بلسان مجهول إلى «نووت»، وتحدث «نووت» لأول مرة حسب خبرة «كليف» بنفسه مجيبًا. تعثرت مقاطع ألفاظ الرجل الآلي كأنها تولدت عن مشاعر إنسانية، وتغير التعبير على وجه «كلاتو» من المفاجأة إلى التعجب. تحدثا لدقائق عدة، بدا «كلاتو» متعبًا، ثم بدأ يرقد، لكنه توقف بمنتصف الطريق، لأنه رأى «كليف»، تحدث «نووت» من جديد، مطولًا، أومأ «كلاتو» له بالاقتراب بيده، وذهب إليه.

قال في صوت لطيف منخفض:

- لقد أخبرني «نووت» كل شيء.

ثم نظر نحو «كليف» للحظة في صمت، علت وجهه ابتسامة متعبة واهنة.

كان لدى «كليف» مائة سؤال ليطرحهم، لكنه للحظة لم يجرؤ على فتح فمه. بدأ أخيرًا باحترام بالغ، لكن مع إثارة منبعثة:

- لكنك لست «كلاتو» الذي كان في الضريح؟

تلاشت ابتسامة الرجل وهزَّ رأسه:

- لا.

استدار نحو «نووت» الشاهق، وقال شيئًا بلغته الخاصة، وعلى وقع كلماته تلوت الملامح المعدنية للرجل الآلي كما لو كانت متألمة، ثم التفت عائدًا إلى «كليف».

أعلن ببساطة، كما لو أنه يعيد كلماته للرجل الأرضي:

- أنا أحتضَر.

اكتسى وجهه مجددًا الابتسامة المتعبة الواهنة.

كان لسان «كليف» ساكنًا، حدّق فقط، متمنيًا اتضاح الأمر، بدا أن «كلاتو» يقرأ ما في باله. قال:

- أراك لا تفهم، رغم أنه ليس مثلنا، لدى «نووت» قوى خارقة، حين بُني الجناح وبدأت المحاضرات، أتته حينها فكرة نيرة لافتة للنظر، عكف مشتغلًا عليها من فوره، في الليل، ركب هذا الجهاز... والآن صنعني من جديد، من صوتي، كما سجله رجالكم. كما يجب أن تعرف، كل جسد بعينه له صوت يميزه، لقد بَنَى جهازًا يُرجع عملية التسجيل، ومن الصوت الناتج صُنع الجسد المميز.

شهق «كليف»:

- هكذا كان الأمر إذن؟!

صاح «كليف» فجأة بلهفة:

- لكنك لا يجب أن تموت! كان تسجيلك الصوتي قد أُخذ حين خطوت خارجًا من المركبة، بينما كنت بخير! لا بد أن تتركني لآخذك إلى مستشفى! أطباؤنا شديدو المهارة!

هز «كلاتو» رأسه نافيًا على نحو مرئي بالكاد. قال بطيئًا وبوهن أكثر:

- ما زلت لا تفهم، تسجيلاتكم فيها أخطاء، ربما أخطاء طفيفة جدًّا، لكنها تهلك المنتج، كل تجارب «نووت» قُضي عليها في دقائق قليلة، يقول لي... ويصير واجبًا عليَّ.

بعدها فجأة، فهم «كليف» أصل «التجارب»، تذكر أنه في اليوم الذي فُتح فيه الجناح فقد موظف من «سميثسونيان» حقيبة ورقية محتوية على شرائط أفلام مسجلة لأحاديث حيوانات عالمية متنوعة، على الطاولة كانت هناك حقيبة أوراق! ولا بد أن «الستيلويلين» قد صُنعوا من شرائط تم الاحتفاظ بها في درج الطاولة!

لكن قلبه كان مثقلًا، لم يرد لهذا الغريب أن يموت، اتضحت له ببطء فكرة مهمة، شرحها بإثارة متزايدة.

- أنت تقول إن التسجيل كان معيبًا، وبالطبع كان، لكن سبب ذلك يكمن في الاستخدام لجهاز تسجيل معيب، لذا إذا استخدم «نووت»، في عكسه للعملية، بالضبط نفس أدوات الجهاز الذي سُجل به صوتك، فبالإمكان دراسة الأخطاء، إلغاؤها، وستحيا، ولن تموت!

حينما فارقت الكلمات الأخيرة شفتيه، تحرك «نووت» بسرعة دائرًا هنا وهناك كقطة وأمسكه بشدة، لمعت إثارة إنسانية حقيقية في عضلات وجهه المعدنية. أمره بلغة إنجليزية مثالية وواضحة:

- أحضر لي ذلك الجهاز!

بدأ يدفع «كليف» نحو الباب، لكن «كلاتو» رفع يده، وقال بلطف:

- لا داعي للتعجل، إنه متأخر جدًّا بالنسبة لي. ما اسمك أيها الشاب؟

أخبره كليف. وطلب منه:

- ابقَ معي للنهاية.

أغلق «كلاتو» عينيه وارتاح، ثم أضاف مبتسمًا قليلًا فحسب من دون فتح عينيه:

- ولا تحزن، لأنه ربما الآن سأحيا مجددًا.. وسيكون الفضل في ذلك لك. ليس هناك من ألم...

كان صوته يتزايد ضعفًا بسرعة. استطاع «كليف» فقط، على الرغم من كل الأسئلة التي عنده، أن ينظر صامتًا مكتوف الأيدي، مرة أخرى بدا أن «كلاتو» واعٍ بأفكاره. قال بخفوت:

- أعرف أعرف، لدينا الكثير جدًّا ليسأل بعضنا بعضًا عنه، عن حضارتك.. وحضارة «نووت»...

قال «كليف»:

- وحضارتك.

قال الصوت اللطيف مجددًا:

- وحضارة «نووت»، ربما.. يومًا ما.. ربما قد أعود.

رقد دون حراك، رقد كذلك لوقت طويل، وأخيرًا وبعد طول انتظار، أدرك «كليف» أنه قد مات. تجمعت في عينيه الدموع، في هذه الدقائق القليلة فقط كان قد أحب هذا الرجل، نظر إلى «نووت»، أدرك الرجل الآلي أيضًا أنه كان ميتًا، لكن لم تملأ دموع عينيه المضيئتين احمرارًا، كانتا متسمرتين على «كليف»، ولوهلة، عرف الشاب ما كان في باله.

أعلن جديًّا كما لو أنه يأخذ قسمًا مقدسًا:

- «نووت»، سأحضر الجهاز الأصلي، سأحضره، كل قطعة منه، الأشياء نفسها تمامًا.

دون كلمة، أوصله «نووت» للبوابة. أصدر الأصوات التي فتحت الباب، عندما فُتح، تزاحَمَ حشد مزعج لرجال أرضيين في الخارج يدوس بعضهم بعضًا في تدافع مفاجئ ليخرجوا من المبنى، أضيءَ الجناح، خطا «كليف» أسفل المعبر المائل.

باتت الساعتان التاليتان دومًا في ذاكرة «كليف» ذات طبيعة مشابهة للأحلام، كان الأمر كما لو أن ذلك المختبر الغامض مع الميت النائم في سلام هو الجزء الحقيقي والمركزي من حياته، ومشهده مع الرجال المزعجين الذين تحدث معهم فاصلًا فظًا وهمجيًّا. وقف غير بعيد من المعبر المائل، حكى فقط جزء من قصته، كان مُصدقًا، انتظر بهدوء بينما جاء كل الضغط الذي بذله الموظفين ذوي السلطات على الأرض في سبيل حصولهم على الجهاز الذي طلبه الرجل الآلي.

حين وصل، حمله لأرضية الدهليز الصغير وراء البوابة، كان «نووت» هناك، كما لو أنه ينتظر، حمل على ذراعيه الجسد الرشيق لـ«كلاتو» الثاني، برقة مرره إلى «كليف» الذي أخذه دون كلمة، كما لو أن كل هذا قد أعد مسبقًا، بدا أنه الوداع.

من بين كل الأشياء التي أراد «كليف» قولها لـ«كلاتو»، بقيت إحداها حاضرة بإلحاح في ذهنه. الآن، بينما وقف الرجل الآلي المعدني الأخضر في إطار المركبة الخضراء العظيمة، اغتنم فرصته.

قال بجِدٍّ، حاملًا بحذر الجسد الرشيق بين ذراعيه:

- «نووت»، يجب أن تفعل شيئًا واحدًا لأجلي، استمع بحذر، أريدك أن تخبر سيدك - السيد الآتي - أن ما حدث لـ«كلاتو» الأول كان حادثًا، تأسف له كل الأرض بلا قيود.. هلا تفعل ذلك!

أجاب الرجل الآلي بلطف:

- لقد عرفت ذلك.

- لكن، هلا تَعِدُ أن تبلغ سيدك - هذه الكلمات فحسب - بمجرد أن يصل!

قال «نووت» بود:

- لقد أسأت الفهم.

وبهدوء قال أربع كلمات إضافية، عندما سمعهم «كليف» مرت غشاوة فوق عينيه وصار جسده خدرًا.

عندما تعافى وعادت عيناه للتركيز، رأى المركبة العظيمة تختفي. فجأة لم تعد هناك بعد ذلك، سقط للخلف خطوة أو اثنتين، رنت في أذنيه كأجراس عظيمة، كلمات «نووت» الأخيرة.

أبدًا، لم يكن ليكشف أمرهم حتى يحين يوم وفاته.

- لقد أسأت الفهم!

قال الرجل الآلي الجبار:

- أنا السيد!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الكاتب..

يُعَد الكاتب الأمريكي «هاري بيتس» Harry Bates (1900-1981) أحد أهم كُتَّاب أدب الخيال العلمي الكلاسيكيين الذين ظهروا في الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى، وفي عشرينيات القرن الماضي، اشتغل «بيتس» لـ«ويليام كلايتون» محررًا لمجلات «pulp magazines »، وبعدها حين اقترح «كلايتون» إنشاء مجلة مغامرات دورية، أشار «بيتس» إلى خيارات أخرى، وكان أن نتج من ذلك إنشاء مجلة «Astounding Science Fiction » التي تولَّى تحريرها، كما قام بتحرير عدة مجلات أخرى لـ«كلايتون»، من بينها: «Strange Tales».

مارس «بيتس» العمل الإبداعي من تأليف وتحرير لأكثر من خمسين عامًا، وقد كتب النوفيلا والقصة القصيرة. واهتم بطرح قضايا الصراعات العلمية المحتملة في كتاباته، كما تكشف مؤلفاته عن اهتمام بالعلوم ودورها المؤثر على المجتمع؛ فقد آمن أن القصة القصيرة من هذا الجنس (الخيال العلمي) في زمانه كانت ضعيفة، وذلك لأن كُتابها يركزون على الخيال فقط، متجاهلين العلم.

وُلِد «هيرام جيلمور بيتس» الثالث في التاسع من شهر أكتوبر عام 1900، في مدينة «بيتسبرج» بولاية بنسلفانيا. أحدثت أعماله تأثيرًا واضحًا يمتد إلى اليوم فيما نشاهده من أفلام ومسلسلات وقصص خيال علمي.

تُوفِّي «بيتس» في سبتمبر من عام 1981، عن عمر ثمانين عامًا، وقد كانت أعراض مرض الروماتيزم قد اشتدت عليه أواخر حياته؛ مما منعه من مواصلة الكتابة كونها مهنة تُدِر عليه دخلًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المُترجمة..

دعاء الفاضل حسن خليفة: من مواليد ديسمبر 1988 في دولة الإمارات العربية المتحدة، سودانية الجنسية، حاصلة على بكالوريوس تقنية حيوية، كلية العلوم، الجامعة الإسلامية الماليزية، كاتبة حرة في مجلة «جيل جديد» الإلكترونية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة